الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جـــامـعـــة البـليدة 2
University of Blida 2
كلية: العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم:العلوم الاجتماعية

الميدان: العلوم الاجتماعية

الشعبة: علم الاجتماع

التخصص: فلسفة

محاضرات في : وحدة مدخل إلى الفلسفة العامة

الطور: الأول

السنة : الأولى ليسانس

السداسي: الأول

إعداد الأستاذ :عبد الله مصطفى

الرتبة : أستاذ محاضر " أ "

السنةالجامعية:2022-2023

الفهرس

الفهرس.....ص2

مقدمة .....ص 5

المحاضرة الأولى : .....ص 7

المحاضرة الثانية :.....ص 13

المحاضرة الثالثة:.....ص 19

المحاضرة الرابعة :.....ص 28

المحاضرة الخامسة:.....ص 32

المحاضرة السادسة :.....ص 35

المحاضرة السابعة : .....ص 42

المحاضرة الثامنة : .....ص 57

المحاضرة التاسعة :.....ص 62

المحاضرة العاشرة :.....ص 66

المحاضرة الحادية عشرة :.....ص 75

المحاضرة الثانية عشرة :.....ص 81

المحاضرة الثالثة عشرة:.....ص83

المحاضرة الرابعة عشرة :.....ص 90

المحاضرة الخامسة عشرة :.....ص 93

المحاضرة السادسة عشرة:.....ص 96

الخاتمة .....ص 99

قائمة المصادر و المراجع .....ص 101

المقدمة

مقدمة

تعتبر الفلسفة نمط متميز من التفكير من حيث موضوعها ومنهجها وغايتها، فهي مرتبط بمختلف مناحي الوجود الإنساني الأخلاقي والاجتماعي والديني و الثقافي والنفسي و العلمي ... لذلك كان من الضروري اعتبار وحدة مدخل إلى الفلسفة العامة وحدة ضرورية لطلبة السنة الأولى ميدان العلوم الاجتماعية و ذلك نظرا لتقاطعها مع مختلف ميادين العلوم الاجتماعية باعتبارها مرجعية لكل باحث في هذا السياق فعلم النفس مثلا ظهر و تطور في أحضان الفلسفة انطلاقا من سقراط و أفلاطون وأرسطو مرورا بفلاسفة الإسلام أمثال ابن سينا و الكندي والفرابي والغزالي وصولا إلى المدارس النفسية المعاصرة الجشطالتية والظواهرية والبنيوية والتحليلية ...

ونفس الشيء بالنسبة لعلم الاجتماع الذي تعتبر نظرياته الحديثة امتدادا للنظريات الفلسفية الكلاسيكية والتي وقفت على أحوال المجتمع وتأثير طبقاته على بعضها البعض، و كيفية تأثير المجتمع على الفرد، و الفرد على المجتمع و تأثير الجانب السياسي و الاقتصادي على البناء الاجتماعي و هذا ما نجده له منطلقا في كتاب الجمهورية لأفلاطون و في السياسة لأرسطو و آراء أهل المدينة الفاضلة للفرابي والأمير لميكيافيلي، وما زاده عمقا فلاسفة العقد الاجتماعي و التأثير الذي لعبه هؤلاء الفلاسفة في عصر الأنوار . كما نلمس نفحات الفلسفة في ميدان الأنثروبولوجيا و الاقتصاد السياسي ...

لذلك تعتبر وحدة مدخل إلى الفلسفة من الوحدات الأساسية للمتخصصين في ميدان العلوم الاجتماعية والهدف الأسي من هذه الوحدة هو منح الطالب مستوى تنظيري وإطار نظري تأسيسي لمختلف تخصصات هذا القسم .

وتتضمن هذه المطبوعة مجموعة من المحاضرات والتي تقدر بسبعة عشر محاضرة تتضمن مجموعة من المصادر والمراجع المركزية التي يحتاج إليها الطالب والتي يجدها في نهاية المطبوعة .

الكلمات المفتاحية : فلسفة، عقلانية، تجريبية، براغماتية، دوغمائية .

المحاضرات

المحاضرة الأولى :

تعريف الفلسفة:

إن المتتبع لأمهات القضايا الفلسفية كالمعرفة والوجود والقيم والنفس والعدالة وغيرها سيجد نفسه ملزما على تتبع حلقات تطور الفكر البشري، بداية من الإرث الإغريقي العقلاني الذي يعتبر مرجعية عالمية . فالحضارات التي سبقته على الرغم من الأهمية البالغة التي تحتلها في شتى مجالات المعرفة، إلا أنها امتزجت بالتفسيرات الميتولوجية الخرافية التي اتخذت من الأسطورة ملاذا لها لتفسير الظواهر الطبيعية، ويعتبر الفكر اليوناني فكرا عقلانيا بامتياز شكل نقلة نوعية في مجال الفكر وإن لم تنفك بداياته الأولى عن محاكاة حضارات الفكر الشرقي القديم في تفسيراتها الأسطورية وهذا ما نجده مع الشاعر هوميروس وهزيود. ويعتبر التفكير الطبيعي مع طاليس وأنكسيمانس وأنكسيماندريس وهيراقليدس أول تفكير فلسفي عقلاني يفسر الطبيعة انطلاقا من عناصرها المكونة لها بعيد عن رواسب الخرافة فإذا كانت بداية الفلسفة عند اليونان فكيف يمكن تعريف الفلسفة وما هي خصائص ومناهج هذا النمط من المعرفة ؟

يرجع مصطلح الفلسفة إلى الكلمة اليونانية فيلوPhilo و التي تعني محبة وصوفيا Sophiaوتعني الحكمة أي محبة الحكمة،و يرجع المؤرخون المصطلح إلى فيثاغورسPhytharogoras(572-497 ق م) الذي أطلق على نفسه اسم الفيلسوف أي المحب للحكمة وليس الحكيم فهذه الصفة الأخيرة حكرا على الآلهة دون البشر، فالإنسان ينبغي له أن يحب الحكمة دون ادعاء بلوغها، وهناك من يرجع أصل الكلمة إلى الحكيم اليوناني سقراط Socrate (470-399)، ومن دلالات كلمة الحكمة في اللغة العربية رجاحة العقل و صواب الأمر و سداده، ووضع الأمر في موضعه .

وما تجدر الإشارة إليه أن تعريف الفلسفة قد تعدد بتعدد المذاهب الفلسفية والأنساق الفكرية والعصور والتي بلغت درجة التناقض في بعض الأحيان فلم يتم الاتفاق على تعريف موحد لها.

تعريف الفلسفة عند اليونان:

يعرف الحكيم اليوناني **سقراط Socrate (470-399 ق.م)** الفلسفة على أنها " البحث العقلي عن حقائق الأشياء المؤدية إلى الخير " فموضوع الفلسفة لا يرتبط بالطبيعة وإنما بالإنسان وما يرتبط به من أخلاق وعدالة وخير وسياسة لذلك قيل أن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض.

ففعل الفلسفة ليس سوى سبيل المعرفة الذي يقضي الإنسان من خلاله على الجهل وبالتالي عن الرذيلة ويحقق الفضيلة، فالإنسان عند سقراط لا يفعل الشر عن علم وإنما عن جهل ولا سبيل إلى بلوغ الفضيلة والسعادة إلى من خلال الفلسفة فهي الطريق الذي يتحسس به الانسان طريقة نحو الخير الأسمى و بها فقط تنبجس الحقائق المطلقة من كنه الطبيعة البشرية العاقلة، فقد ربط سقراط بين نظرية المعرفة والأخلاق التي هي غاية الفلسفة .

أما تلميذه **أفلاطونPlaton (470-399 ق.م)** فقد أكد" أن الفلسفة لا تدون ولكنها تنبثق من النفس وتتطاير كما يتطاير الشرر من الحجر، فهي تجربة نفسية أكثر منها حقيقة منطقية، إنها حال أكثر منها مقالا ، لذلك فهي تستعصي على التعبير ولا يمكن للألفاظ أن تفصح عنها ولا للأمثلة أن توضحها ولا للتعاريف أو الحدود أن تحيط بها، إذ الألفاظ والأمثلة و الحدود كلها وسائل ناقصة لا بد أن تؤدي إلى الخطأ" [1] مع ذلك يلخص تعريفها كما يلي " هي البصر بالخير والحق والجمال وتأملها ... إنها ضرب من تصفية النفس وتفريغها من شواغل المادة والعالم المحسوس والقيام على مجاهدتها وتطويعها وأخذها بالعلم والعرفان والتفكير والنظر "[2] وبهذا فقد ارتبط تعريف الفلسفة عند أفلاطون بتجاوز الحقائق الجزئية والمشوهة عن العالم المحسوس وترويض النفس على النظر العقلي الذي يرتقي بها إلى الحقائق الأزلية والسرمدية المرتبطة بعالم المثل *

وقد تجاوز **أرسطو Aristot (384-322 ق.م)** المثل العليا التي انطلق منها سقراط وأرسطو وجعل موضوع الفلسفة مرتبط بالبحث في الوجود حيث يعرف الفلسفة على أنها " البحث في الوجود بما

---

[1] محمد عبد الرحمان مرحبا ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، ج:1، بيروت ،عويدات للنشر و التوزيع ، 2000 ، ص 118

[2] المرجع نفسه ،ص 119

*يرى أفلاطون أن الإنسان كان يعيش في عالم المثل و كان على دراية بكل الحقائق، و كان يحيا حياة الفضيلة و بعد شربه من نهر النسيان و ارتباطه بالعالم المحسوس نسى كل الفضائل و الحقائق التي كان يعيشها و لا سبيل لإدراكها إلا عن طريق العقل من خلال التذكر لذلك يقول " الجهل نسيان و المعرفة تذكر"، وما نحياه اليوم و نعتقد أنه حقيقة ما هو في حقيقته إلا ظلال و أشباح و زيف لحقاق ثابتة ومطلقة ونفس الشيء بالنسبة للخير فما نعيشه اليوم و نعتقد أنه خيرا ما هو في حقيقته إلا مثالا للخير فقط يقول أفلاطون: الخير فوق الوجود شرفا و قوة " وما نعتقد أنه جميل فهو مثال للجمال فقط فالمحسوسات عبارة عن أمثلة مشوهة لما هو موجود في عالم المثل.

هو موجود" وبهذا فدلالة الفلسفة عند أرسطو ترتبط بالبحث في العلل الأولى للعالم المادي وفي ذلك قسم العلل إلى أربعة علل وهي العلة المادية والعلة الصورية والعلة الغائية والعالة الفاعلة ويلخصها في علتين رئيسيتين وهما المادية والصورية ** ولا يميز أرسطو بين الفلسفة والعلم بل يوظفهما كمرادفتين حيث يقسم الفلسفة إلى نظرية وعملية الأولى تختص بدراسة الميتافيزيقا والرياضيات، أما الثانية فهي تختص بدراسة السياسة والأخلاق بالإضافة إلى الفنون بأقسامها، والمنطق عنده بحث مرتبط بسلامة الفكر لا يرتبط بالفلسفة في شطرها النظري ولا العملي .

تعريف الفلسفة عند الفلاسفة المسلمين :

إن التزاوج الذي حدث بين الإرث الفلسفي اليوناني وما يحمله من عقلانية والدين الإسلامي وما يحمله من قضايا ترتبط بجوهر المصير الإنساني من جهة ومن لغة خصبة صالحة للجدل الفكري من جهة ثانية واتساع حركة الترجمة في عهد الخليفة المأمون بعد تأسيس بيت الحكمة من جهة أخرى أدى إلى ظهور الفلسفة الإسلامية، وقد تعددت تعريفات الفلسفة عند فلاسفة الإسلام .

عند أبو يعقوب الكندي (805-873م): يضع الكندي الفلسفة في قمة السلم التراتبي للمعرفة يقول في ذلك " إن أعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة هي صناعة الفلسفة التي هي علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان، لان غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق، وفي عمله عمل بالحق " ويقدم للفلسفة عدة تعريفات

- الفلسفة هي التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الإنسان
- كما يعتبرها صناعة الصناعات وحكمة الحكم

- **عند أبو نصر الفرابي (874-950م):** لقد تأثر الفرابي بفلسفة أفلاطون وأرسطو كغيره من فلاسفة عصره وهذا ما يظهر من خلال كتابه" التوفيق بين رأيي الحكيمين "و كتاب "المدينة الفاضلة " ويرى أن الفلسفة في كتابه " التنبيه في سبيل السعادة " " فإن الصنائع صنفان: صنف مقصوده تحصيل الجميل، و صنف مقصوده تحصيل النافع، و الصناعة التي مقصودها تحصيل

**يقسم أرسطو العلل إلى العلل إلى أربعة علل : علل مادية و يقصد بها ما منه الشيء ، و علل صورية أي الصورة التي يتجلى فيها الشيء و العلة الفاعلة و التي تحول المادة الى الصورة ، و العلة الغائية أي العلة التي وجد من أجلها الشيء فعلة الكرسي المادية هي الخشب و الصورية هي الكرسي و الفاعلة هي النجار و الغائية هي الجلوس.

الجميل هي فقط التي تسمى الفلسفة وتسمى الحكمة على الإطلاق " والجمال عند الفرابي نظري وهو المعرفة النظرية للحقيقة على أساس من التأمل المتصف بالحكمة أما الجمال العملي فهو السلوك الفاضل الذي يتخذ من الموقف الوسط حدا يلتزم به فلا يتجه إلى أحد الطرفين المذلولين*

عند ابن رشد (1126-1198م): إن الفلسفة عند ابن رشد ليست أكثر من الطريق المؤدي إلى الخالق من خلال التدبر والتأمل في المخلوقات فالشرع حثنا على ذلك ليزيد إيماننا بخالقنا يقول في ذلك " إن فعل الفلسفة ليس أكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع " ويقول " من لا يعرف المصنوع لا يعرف الصانع " فالفلسفة عند ابن رشد ليست غاية في حد ذاتها وإنما هي وسيلة نصل من خلالها إلى الله تعالى .

تعريف الفلسفة عند فلاسفة العصر الحديث

عند ديكارتRené. Descartes (1596-1650): يقدم ديكارت في بداية كتابه " مبادئ الفلسفة تشبيها للفلسفة بالشجرة ليوضح من خلالها الدلالة الحقيقية للفلسفة التي جذورها الميتافيزيقا والتي تشمل مبادئ المعرفة ومنها بيان الصفات الأساسية لله، ولا مادية أنفسنا ، و كل الأفكار الفطرية الواضحة و المتمايزة الموجودة فينا، أما جذعها فهو الفيزيقا والتي يهتدي فيها الإنسان إلى المبادئ الحقيقية للأشياء المادية، وكيفية تركيب الكون ثم الأرض و العناصر الموجودة فيها من معادن وكائنات حية، وأغصانها العلوم الأخرى وهي الطب والميكانيكا والأخلاق، والمقصود بهذه الأخيرة أسمى الأخلاق وأكملها -أي- التي تفترض وجود معرفة كاملة بكل العلوم الأخرى .

عند فرانسيس بيكون Francis Bacon (1561-1626) : ارتبط مفهوم الفلسفة عند بيكون بدراسة الطبيعة والتعرف على قوانينها ومبادئها ولعل كتاب " الأورغانون الجديد " المقتبس من عمل ضخم سماه بيكون ب " الإحياء العظيم " أقوى تجسيد لروح العصر الذي عاشه بيكون و الذي يريد أن يجعل من الفلسفة علما بديلا عن الميتافيزيقا الكلاسيكية والأصنام التي سيطرت على العقل لقرون من الزمن والتي ترفض كل ما هو جديد حيث يرى أن " الفلسفة تدع الأفراد جانبا ولا تهتم بالانطباعات الأولى

*هذا نفسه الوسط الذهبي عند أرسطو لا إفراط و لا تفريط فالفضيلة وسط بين رذيلتين الشجاعة مثلا وسط بين الجبن و التهور و الكرم وسط بين الإسراف و البخل .

التي تحدثها فينا، وإنما المعاني التي تستمد منها بالتجريد ... و هذا هو دور العقل ومهمته " فدور العقل هو الكشف عن قوانين الطبيعة .

مفهوم الفلسفة عند كانط Emmanuel Kant (1724-1804): يرى كانط أن دور الفلسفة إنما هو البحث في حدود العقل وإمكانياته المعرفية ولا يتأتى ذلك إلا من خلال النقد وهذا ما يظهر في مشروعه النقدي (نقد العقل المحض، ونقد العقل العملي ونقد ملكة الحكم) ومفهوم النقد هنا يرتبط بالبحث في الأسس الترنسندنتالية للعقل والتي تجيب عن الأسئلة الأربعة :

- ماذا يمكنني أن أعرف؟ و في ذلك خصص كتاب : نقد العقل المحض
- ماذا يجب أن أفعل ؟ و فيه خصص كتاب : نقد العقل العملي
- أي أمل يمكنني أن آمله ؟ و فيه خصص كتاب: الدين في حدود مجرد العقل
- ما الإنسان ؟ و فيه خصص كتاب : الانثروبولوجيا

و بهذا فالفلسفة عند كانط تمثل نسقا متكاملا .

عند هيجل Georg_Wilhelm_Friedrich_Hegel (1770-1831): الفلسفة تعبير عن روح العصر ومنطقه ونتائجه، فهي ترجمة لظروف العصر الواقعية وملابساته التاريخية يقول في كتابه " أصول فلسفة الحق" : " فمهمة الفلسفة أن تفهم ما هو موجود الآن، ما هو موجود هو العقل، وإن مهمة الفلسفة لتنحصر فيما هو كائن الآن وما هو كائن ليس إلا العقل نفسه ...و إن كل منا ابن عصره وربيب زمانه "

مفهوم الفلسفة في الفلسفة المعاصرة :

<u>عند البراغماتيين</u> : الفلسفة وسيلة للعيش وطريق في التفكير ينشأ عن وجود مشكلات أو أحداث مفاجئة تبحث عن حلول عملية في الواقع و ليست غاية في حد ذاتها كما يرى العقلانيون، فصدق الأفكار يشتق بصفة عملية من النتائج التي تحققها فلا وجود لفكرة صادقة أو خاطئة بل هناك فكرة نافعة وأخرى غير نافعة وفعل الفلسفة ليس أكثر من البحث عن الطريق الذي يحقق أكبر قدر من المنافع بأقل جهد ممكن في الواقع العملي، إذن فالفلسفة هي التطبيق العملي للأفكار والتصورات التي أنتجها العقل البشريي .

أسئلة حول المحاضرة الأولى :

ما سبب التمايز في تعريف الفلسفة ؟

هل يرجع ذلك إلى صعوبة تحديد دلالة الفلسفة أم تعدد اتجاهات الفلاسفة ومناهجهم؟

هل هناك فرق بين الفلسفة و فعل التفلسف ؟

المحاضرة الثانية :

خصائص التفكير الفلسفي و مناهجه

خصائص التفكير الفلسفي:

- **الشمولية والكلية** : لقد اتجه العلم بعد انفصاله عن الفلسفة الى التخصص في كل فروعه ومجالاته، غير أن البحث الفلسفي بحث كلي لا يبحث في الجزئيات بل في الكليات، فعندما يبحث الفيلسوف في الوجود إن كان حادثا أم أزليا فهو لا يبحث في جزئياته بل يبحث في الوجود بصفة عامة، وعندما يبحث في المعرفة ووسائلها و إمكانها فهو يبحث في المعرفة عموما...

- **الاتساق:** يرى أندري لالاند أن الاتساق يكون عندما يغيب التناقض والتعارض بين الأفكار و يعتبر الاتساق من أهم خصائص الفلسفة فالفيلسوف وفي لنسقه الفلسفي لا سيما في ميدان الأخلاق والسياسة والدين، فالتفكير الفلسفي تفكير منظم، والكثير من الفلاسفة ضحوا بحياتهم من أجل الدفاع عن افكارهم وهذا ما مثله أحسن تمثيل الحكيم اليوناني سقراط .

- **العمق** : إذا كانت مهمة الفلسفة هي الإجابة عن القضايا الكبرى للوجود فهذا أنما يتطلب منها التحليل المعمق والبحث الجاد يقول نيتشه " كبريات المشاكل تملا الشوارع " فأفلاطون عندما قدم تصوره للعدالة، نجده يحلل ويدقق ويعمق هذا المفهوم من كل جوانبه بما يرتبط بها من حقوق وواجبات، ونجده يسوق الأمثلة في توضيح هذه المفاهيم، كما ان كانط قد قدم بنية تشريحية للمعرفة و كيفية حصولها عند الانسان ويفصل في ذلك إلى درجة أنه استغرق في كتابته عشرة سنوات.

- **النقد** : فالتفلسف تساؤل نقدي بناء ينصب على المنتوج الثقافي للإنسان،لذلك يعتبر النقد من أهم خصائص الفلسفة ولا قيمة للفيلسوف الذي لا يتحلى بروح النقد، وهذا ما نجده عند أبو حامد الغزالي في نقد الفلاسفة و طرق بحثهم في القضايا الدينية وكارل ماركس في نقده للمجتمعات الرأسمالية و نيتشه في نقده لأخلاق العبيد وثورته على الموروث الغربي، وكانط في كتبه النقدية التي أراد من خلالها أن يبين إمكانيات العقل وحدوده ... غير ان النقد الفلسفي ليس نقدا هداما بل بناء غرضه بناء هادفا .

مناهج الفلسفة

تعريف المنهج : هو الخطة المتبعة للوصول إلى نتيجة معينة، كما يشير إلى جملة الترتيبات النظرية التي يتقيد بها الباحث بغية الوصول إلى النتيجة، ولما كانت موضوعات الفلسفة في مجملها موضوعات غي مادية، كان من الضروري أن يجد الفيلسوف منهجا ينسجم مع موضوع بحثه وفقا لتياره الفكري ومن المناهج الفلسفية نجد :

المنهج التمثيلي: ويقصد به الانطلاق من طريقة مألوفة في التفكير انطلاقا من الخبرة أو العيانات الحسية ليتم تعميم مضمونها على الكون بالإجمال فحين "وجد أرسطو أن الإنسان كفرد وعضو في جماعة إنما يسعى دائما الى أغراض يحققها، طبق الغائية على الكون بالإجمال" [1] كما طبق توماس هوبز الآلية الطبيعية التي وصل إليها غاليلي من خلال قوانين الميكانيكا على التجمعات البشرية و على كل ظواهر الكون.

منهج الشك واليقين : لقد خصص **ديكارت** كتاب " **مقال في المنهج** " لتحديد المنهج الذي ينبغي أتباعه لبلوغ اليقين وقد اعتمد على الشك المنهجي المؤقت لبلوغ اليقين الذي افتقرت إليه علوم عصره، وقد شكك ديكارت في كل علوم عصره فيجب أن نضع كل المعارف التي تلقيناها من الفلاسفة موضع شك، ونضع معتقداتنا العامة موضع ارتياب، وننظر فيما تبقى من أفكار في عقلنا السابقة عن كل تلك الأفكار وسوف نجد أن تلك الأفكار واضحة ومتمايزة و يقينية والضامن لصدقها هو الله ومر الشك الديكارتي بمرحلتين وهما مرحلة الهدم والبناء* وصولا إلى المنهج الرياضي* باعتباره المنهج القويم الذي يبلغنا اليقين.

---

[1] محمود زيدان ، مناهج لبحث الفلسفي،الإسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1977 ،ص37

*مرحلتي الهدم و البناء : لقد شكك ديكارت في كل علوم عصره و أراد أن يؤسس فلسفة تحمل طابع اليقين بوحي من العقل لذلك شكك في كل علوم عصره و في الأسس التي قامت عليها بداية من الحواس باعتبارها أولى مصادر المعرفة غير أنها كثيرا ما تخدعنا لذلك لا يجب الثقة بها، ليشكك في العقل لأنه يعتمد على معطيات الحواس ثم شكك في العالم الخارجي الذي تقدمه لنا الحواس و العقل ثم شكك في وجود الله و ذلك أن الدليل على وجوده هو العالم و إذا كان العالم غير موجودا فالله غير موجود ليبتكر ديكارت فكرة الشيطان الماكر الذي يخدعه و يجعله يشكك في كل شيء حتى في

المنهج الظواهري (الفينومينولوجي) يرجع هذا المنهج للفيلسوف الألماني **إيدموندهوسرل E.Husseurl (1859- 1938)** أراد كغيره من الفلاسفة الذين سبقوه أن يجعل من الفلسفة علما له موضوعه ومنهجه ولا يمكن لها أن تصل إلى ذلك إلا من خلال تخليها عن كل الأحكام السابقة لكي تنطلق انطلاقة صحيحة، والانطلاق من عالم الأشياء، والمعنى العام لكلمة ظاهرة هو ما يظهر أمامي استنادا على المعطى الحسي، أو العالم المادي، أو خصائص العالم المادي الظاهرة لي كالشكل اللون و الحجم ... فأفعال العقل الإدراك والخيال والتذكر والرغبة وإصدار الأحكام كل هذه المواقف ترتبط بالقصد أو (التوجه إلى) فما تقصده الذات من موضوعات يحوله الشعور إلى ماهيات ويكون الإدراك ليس إدراكا للموضوعات الحسية و إنما للأشياء في ذاتها أو لماهياتها وهذا هو موضوع الفلسفة الذي تقترن به أفعال العقل من تذكر وتخيل ... " والمقصود بماهيات تلك الموضوعات المعرفة الضرورية الصادقة عنها، لذلك يسمي هوسرل الفلسفة أحيانا بعلم الماهيات أو علم النفس الماهوي وهذه التسميات كلها مرادفة لعلم الشعور وعلم البدايات المطلقة "[1]

المنهج التحليلي : ظهر المنهج التحليلي في انجلترا على يد **جورج مور George Edward Moore(1873-1958)** في القرن العشرين وقد تبناه الكثير من الفلاسفة الانجليز منهم رسل Bertrand Russell(1872-1970),و فتجنشتاين Ludwig Wittgenstein (1889-1951)، وكانت السمة المميزة للفلسفة الانجليزية المعاصرة التي جاءت كرد فعل على النسق الهيجلي المتعالي الذي أوغل في الميتافيزيقا وأفرط في استعمال الألفاظ الميتافيزيقية بدلالات متماثلة لذلك سعت الفلسفة التحليلية إلى ربط الفلسفة بالواقع المادي من خلال التحليل المنطقي للغة رافضين بذلك الميتافيزيقا وكل الأفكار التي لا ترتبط بوقائع مادية يمكن ملاحظتها والتحقق من صدقها أو خطئها تجريبيا وقد استثنى

وجود الله ويدخل في مرحلة البناء انطلاقا من الكوجيتو " أنا اشك في كل شيء ما عدا أنني اشك و إذا كنت أشك فأنا أفكر وإذا كنت أفكر فانا موجود " ليثبت وجود الله بناء على وجوده وكذلك أثبت العالم ...

**

المنهج الرياضي : يعتبر المنهج الرياضي عند ديكارت بمثابة البديل الذي يقترحه عن المناهج الكلاسيكية في البحث والذي أراد من خلاله أن يجعل من الفلسفة علما قائما بحد ذاته و يقوم هذا المنهج =أساسا على فكرة البداهة حيث أكد ديكارت انه لا ينبغي أن نثق في أي فكرة بأنها صحيحة إلا إذا تبين لنا بالبداهة بأنها كذلك ثم التحليل فالتركيب فالإحصاء أو التحقق.

[1] محمود زيدان ، مناهج البحث الفلسفي، ص68

رسل الرياضيات والمنطق من ذلك، وأكدت الوضعية المنطقية على وجوب ارتباط قضايا الفلسفة بقضايا العلم ذاته. **من الناحية الاصطلاحية:** يعني التحليل" رد الموضوع المركب إلى عناصره البسيطة "[1] بغض النظر إن كان الموضوع قضية منطقية أو فكرة مجردة أو نظرية علمية...و تدل كلمة التحليل على التقسيم و التفكيك ، لكن يختلف معناها باختلاف الشيء الذي يحلل أو يفكك وباختلاف النتائج التي نتوصل إليها ، فقد يكون التحليل واقعيا إذا كان الشيء المحلل شيئا واقعيا مثل الكيمياء و قد يكون عقليا يقوم على استنباط قضية من أخرى مثل التحليل الرياضي " [2]

أما دلالة التحليل من الناحية الفلسفية فالمراد منه التوضيح عن طريق إبراز ما هو متضمن من عناصر بسيطة في الموضوع والتي تكون غامضة بواسطة تركيبها "[3] غير أنه لا ينبغي أن يفهم ذلك أن التحليل من طبيعة تكرارية وهو مجرد تحصيل حاصل للقضية المحللة إذا كان لا يضيف عناصر جديدة إلى القضية المحللة ويسعى إلى إبراز العناصر التي كانت متضمنة فيها، فغرض التحليل هو توضيح وإبراز الغموض والإبهام و المسكون عنه وإبراز العناصر التي كانت موجودة و لم تكن واضحة من القضية المحللة وبهذا فهو يقدم لنا معرفة جديدة " إن القول أن التحليل لا يضيف أي عنصر جديد إلى الموضوع المحلل لا يكافئ منطقيا القضية التكرارية كما يرى لودوفيج فيتجنشتين و الدليل على ذلك أن تحليل المركب الكيميائي بطريقة التحليل المناسبة لذلك المركب لا يعطينا سوى العناصر الداخلة في المركب لكننا نكتسب معرفة جديدة وشيئا جديدا كما أن تحليل قضية منطقية لا يضيف أي عنصر جديد إلى مكوناتها ولكننا نكتسب معرفة جديدة من حيث صدقها أو كذبها " [4]

و يعتبر جورج إدوارد مور (1873–1958) أول من اتبع المنهج التحليلي في نقده للمثالية ثم انقل تأثيره إلى برتراند راسل ثم إلى لودفيغ فيتغنشتاين وإلى أصحاب الاتجاه الوضعي المنطقي وغيرهم،

---

[1] Andre Laland .(1970) .*vocabulaire technique et critique de la philosophie* paris: p.u.f. p56 .

[2] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ص254-256

[3] أحمد عبد الحليم عطية. (2019). *الفلسفة التحليلية ماهيتها ، مصادرها ، و مفكروها*. بيروت لبنان: المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية.ص21

[4] أحمد موساوي، *مكانة المنطق في الفلسفة التحليلية المعاصرة*، الجزائر : معهد المناهج.2007، ص51

فإذا كان هؤلاء الفلاسفة والمناطقة يعتمدون على المنهج التحليلي فما هي شروط هذا المنهج ومتى يجوز لنا أن نسمي الفيلسوف فيلسوفا تحليليا؟

شروط التحليل :

إذا كان المقصود بالتحليل هو التوضيح عن طريق إبراز ما هو متضمن من عناصر بسيطة في الموضوع و التي تكون غامضة بواسطة طريقة تركيبها فهو متمايز عن الشرح والتعريف وغيرها بجملة من الخصائص و أهمها :

- يجب أن تكون العناصر التي ينتهي إليها التحليل مساوية للعبارة المحللة مجموع العناصر الناتجة عن التحليل تكافئ العبارة المحللة من حيث المعنى، هذا من جهة و من حيث البساطة ينبغي أن تكون هذه العناصر غير قابلة للتحليل، ليس بالنسبة إلى شخص معين بل من الناحية الموضوعية "[1] فلا يمكن أن تكون العبارة المحللَة أكثر تعقيدا من العبارة الأصلية فغرض التحليل هو التوضيح و إزالة الغموض و ليس التعقيد
- –ينبغي أن لا تتضمن العبارة المحللة عناصر جديدة لا تكشف عما هو متضمن في العبارة الأصلية كما لا ينبغي أن تكون مجرد شرح لها.

يجب أن تراعي البساطة و الدقة في التحليل من حيث الضرورة التي تفرضها طبيعة الموضوع، فالتحليل عملية منطقية و ليست عملية لغوية.

المنهج الحدسي:

لغة الحدس هو الظن والتخمين و التوهم.

اصطلاحا: هو الطريق المباشر للمعرفة و الذي لا يحتاج إلى وسائط، أين يتم إدراك الموضوع الذهني أو العيني دفعة واحدة.عند ابن سينا : هو سرعة الانتقال من المجهول إلى المعلوم وقد اعتمد **برغسون Henri Bergson (1859–1941)** على هذا المنهج الذي يربط الإنسان بأناه العميق مباشرة من خلال الحدس والشعور و ما يتضمنه أناه من وجدانات وعواطف وميول ورغبات ... و يُقسَم الحدس إلى أنواع أهمها :

[1] أحمد موساوي، *مكانة المنطق في الفلسفة التحليلية المعاصرة، ص55*

- الحدس الحسي: و هو القدرة التي ندرك من خلالها العالم الحسي معرفة مباشرة مثل الألوان و الأشكال و الأصوات...
- الحدس العقلي: و هو الإدراك العقلي للقضايا البسيطة مثل الكل أكبر من الجزء وإضافة كمية ثابتة إلى متساويين لا تغير في تساويهما.
- الحدس النفسي: ويقصد به المعرفة المباشرة لأحوال النفس كالفرح والقلق والحزن...و التي يتعرف عليها الانسان مباشرة دون واسطة .
- الحدس الكشفي: والذي يقتصر على العلماء والعباقرة مثل حدس نيوتن لقانون الجاذبية.

أسئلة حول المحاضرة

- هل يمكن توحيد مناهج الفلسفة ؟
- ما يميز منهج الشك و اليقين عن المنهج الفينومينولوجي ؟

المحاضرة الثالثة :

أصول الفلسفة :

يرجع فعل التفلسف عند الإنسان إلى طبيعته العاقلة التي ليست مجرد مستقبل سلبي للقضايا التي ترتبط بجوهر وجوده المادي الميتافيزيقي، فقد بحث الإنسان في أصل الوجود وفي مصيره المرتبط بهذا الوجود وما يتعلق به من حرية وعدالة وأخلاق ومصير الروح بعد فناء الجسد ... فما هي مرجعيات ومصادر الفلسفة عند الإنسان ؟

يمكن التمييز بين مصدرين متباينين من مصادر الفلسفة، مصادر داخلية ترتبط بجوهر الطبيعة البشرية وما تعيشه من دهشة وتساؤل وقلق وشك و تواصل ومصادر خارج الطبيعة البشرية و تتعلق بتأثير حلقات التفكير الفلسفي على بعضها البعض.

داخل الطبيعة البشرية

الدهشة أو الحيرة:

لا يقصد بالدهشة في الفلسفة الدهشة المألوفة الطبيعية التي نعيشها في حياتنا اليومية وإنما هي انفعال وجداني عنيف ينتج عن الذهول أمام قضايا غير اعتيادية أو من التشكيك فيما كان يبدو لنا يقينا .

و يرى أرسطو أن الدهشة هي الدافع الأول إلى فعل التفلسف يقول في ذلك:" إن الدهشة هي التي دفعت بالفلاسفة الأوائل إلى التفلسف " فالاندهاش هو دليل شعور الإنسان بالجهل والذي لا يزول إلى بالبحث والتفلسف لذلك انتهج سقراط أسلوب المحاورة القائم على التهكم والتوليد من خلال إثارة الدهشة و الجهل عند محاوريه وهذا هو سبيل الحقيقة لذلك يقول سقراط " كل ما أعرفه هو أنني لا أعرف شيئا " ويقول في محاورة ثياتيتوس" ليس للفلسفة مصدرا آخر غير الدهشة يقول أفلاطون: "خاصية الفلاسفة هي الاندهاش" "

كما انطلق **كارل ياسبرس Karl Jaspers (1883-1969)من مفهوم الدهشة لاعتبارها منطلقا لكل فكر بقول في ذلك** : " يدفعني الاندهاش إلى المعرفة فيشعرني بجهلي " لذا

نشأ فعل التفلسف في أحضان الاندهاش ومنه بلوغ التساؤل الذي لا يعرف حدودا يقول في ذلك " الأسئلة في الفلسفة أهم من الأجوبة وكل جواب جديد يتحول إلى سؤال " .

و يرتبط مفهوم الدهشة عند شوبنهاور بأكثر من دلالة الحيرة و التعجب بل هي حالة توتر ذهني ونفسي ممزوجة بالقلق والتوتر ومفعمة بالاهتمام وأحيانا بالألم و المعاناة و قد ترتبط بالعزلة و الغربة والانفصال والذهول و حتى القطيعة " ... فمع أول تفكير يقوم به تتولد لديه تلك الدهشة التي كانت على نحو ما أصل الميتافيزيقا"

و يقول في كتابه العالم كإرادة و تمثل" ...أما الدهشة الفلسفية فهي على العكس من ذلك ... تفترض في الفرض درجة أعلى من العقل ، رغم أن ذلك ليس هو شرط الدهشة الفلسفية الوحيد : ذلك أن معرفة الأمور المتعلقة بالموت و التفكير في الألم و في بؤس الحياة هو دون شك الدافع الأقوى للتفكير الفلسفي و التفكير الميتافيزيقي للعالم ، فلو كانت حياتنا أبدية و حالية من الألم ، فلن يقع لأحد أن يتساءل عن سبب وجود العالم و عن سبب حمله لهذه الطبيعة الخالصة بل سيكون كل شيء مفهوم من تلقاء نفسها "[1]

الشك: le doute

حالة نفسية يتردد معها الذهن بين الإثبات والنفي ويتوقف عن الحكم.و ذلك بجهل ظروف الموضوع وجوانبه، أو العجز عن التحليل والبث في الموضوع " هو اضطراب ذهني يتميز بصعوبة الوصول إلى أحكام أو قرارات ثابتة " [2]

يعتبر الشك من المرجعيات الأساسية والمصادر الهامة لفعل التفلسف وقد انتهج الكثير من الفلاسفة هذا المنهج في الوصول إلى الحقيقة وهذا ما نجده عند سقراط فقد شكك في أراء **السوفسطائيين** و منطلقاتهم الفكرية وهذا ما يظهر في محاوراته التي يعرض فيها أفكارا يبدي فيها جهله ليجيب عنها السفسطائيين ويشكك لهم في الأفكار التي تبدو لهم صائبة، وبناء على ذلك عالج مفهوم الفضيلة والعدالة وغيرها والتي حاول من خلالها إصلاح الأخلاق العامة .

---

[1] Schopenhauer,le monde comme volonté et comme représentation ,tome2, pp294-304

[2] إبراهيم مدكور،المعجم الفلسفي،مصر،الهيئة المصرية لشؤون المطابع الأميرية، 1982، ص 103.

وشكك **أبو حامد الغزالي** في آراء الفلاسفة السابقين خاصة فيما تعلق بالإلهيات عند الفرابي وابن سينا والكندي، وتعدد الآراء والفرق التي وصلت إلى حد التناقض في أمور تتعلق بالدين لذلك وجب التشكيك في الأسس التي قامت عليها هذه الفرق وهم الفلاسفة والذين يدعون أنهم أهل النظر والمنطق والبرهان والمتكلمين الذين يرون أنهم أهل الرأي والنظر والباطنة الذين يظنون أنهم أهل التعليم والصوفية ويعتقدون أنم خواص الحضرة الإلهية و أهل المشاهدة والمكاشفة وهذا ما يتضح في كتابه" المنقذ من الضلال " وقد بين فيه مدى قرب القضايا التي طرحتها هذه الفرق من أصول الشريعة أو بعدها عنها يقول في " من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقى في المتاهات أعمى" ويقول "علمني الشك اليقين". كما عارض وانتقد بل وكفر طرق الفلاسفة في البحث وخوضهم في قضايا تتجاوز حدود العقل في كتابه " تهافت الفلاسفة".

كما شكك فرانسيس بيكون في الأفكار التي يكونها العقل بعيدا عن كل سند تجريبي والتي تعتبر في الغالب سوابق أحكام تقف كحائل أمام تطور البحث العلمي والتي ترتبط بالتقديس المأثور للأفكار والقوى التي تتجاوز قدرة العقل في المعرفة بالإضافة إلى الأفكار التي يكونها الإنسان ويصدق بها دون دليل تجريبي و هذا ما سماه بالأصنام أو الأوهام أو الأوثان التي ينبغي تحطيمها " والصنم على نحو ما فهمه بيكون أن هو إلا ظل يؤخذ على أنه جوهر " وهذه الاصنام والمفاهيم الباطلة التي تغلغلت في أعماق العقل البشري لا تحجب الحقيقة عنه وحسب بل تسبب له متاعب ومصاعب كثيرة حتى في حالة وصوله الى الحقيقة، ولذلك ينبغي أن يتقي الناس شرها ويتحصنوا ضدها "[1] .

فلا بد من الرجوع إلى الملاحظة والتجربة والاستقراء لذلك عارض المنطق الأرسطي الذي اعتبر إنجيلا للعصور على حد تعبير توما **الأكويني Thomas D'Aquin** (1225-1274) لذلك عارض الأفكار التفكير المدرسي والكلاسيكي وأقام ثورة علمية مشككا في كتب الأقدمين وطرقهم في البحث يقول في ذلك " إن إفساح المجال أمام الشك له فائدتان الأولى تكون كالدرع الواقي للفلسفة من الأخطاء والثانية تكون كحافز للاستزادة من المعرفة " ويقول " إذا بدأنا تأملاتنا باليقين وصلنا إلى الشك وإذا بدأنا تأملاتنا

1- كريم متى ، الفلسفة الحديثة ، عرض نقدي ، بنغازي ، منشورات جامعة بنغازي ،1974، ص 41

بالشك وتحملناه في صبر وصلنا إلى اليقين " و قد أكد بيكون أن بلوغ اليقين لا يتأتى إلا من خلال شرطين أساسيين :

أ – **شرط ذاتي** : يتمثل في تطهير العقل من كل الأحكام المسبقة والأوهام والأخطاء التي انحدرت إليه من الأجيال السابقة .

ب– شرط موضوعي: و يتمثل في رد العلوم إلى الخبرة والتجربة وهذا يتطلب معرفة المنهج القويم للفكر و البحث.

أما الشك الديكارتي فقد كان شكا عقلانيا منهجيا منظما وبناء يهدف إلى بلوغ الحقيقة انطلاقا من الأفكار الواضحة والبديهية والمتمايزة مشككا في كل شيئا في مرحلة الهدم بداية من الحواس إلى العقل إلى العالم الخارجي إلى الله كم شكك في كل العلوم التي ترتبط بها بما في ذلك الرياضيات ليصل في مرحلة البناء إلى إعادة بناء المعرفة لكن انطلاقا من الأفكار المتمايزة بداية من الكوجيتو الذي كان نتاجا للشك حيث يقول "أنا أشكك في كل شيء ماعدا أنني أشك وإذا كنت أشك فأنا أفكر وإذا كنت أفكر فأنا موجود"

فوجوده هنا يعتبر ضرورة عقلية أوصله إليها تفكيره، ليصل إلى فكرة الله باعتباره سبب وجوده والعالم باعتباره الكافل لوجوده والذي ندركه بالعقل والحواس. غير أن ديكارت قد قدم منهجا علميا لبلوغ اليقين استنادا على المنهج الرياضي القائم على البداهة والتحليل والتركيب والإحصاء .

القلق Inquiétude:

يعرف القلق على أنه " قلق الشيء لم يستقر في مكان واحد ، و لم يستقر على حال ، وقلق أيضا اضطرب وانزعج فهو قلق كريشة في مهب الريح، وللقلق عند لوك و هو الشعور بالضيق والانزعاج وله عند (كوندياك) درجتان: أولاهما درجة الانزعاج و عدم الرضا و ثانيهما درجة الجزع و الكرب "[1] معنى خاص يقول هيدغر : " لا يمكن أن نسأل عن الكون دون أن نسأل عن ماهية الإنسان "

[1]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء 2، ص199

فالإنسان هو محور الوجود لذلك كان فعل الفلسفة منبثقا و مصدرها منبثقا من حرية الإرادة و ارتباطها بالأشكال المتعارضة في الوجود و التي تصل إلى درجة التناقض و التي تخلق للإنسان القلق .

ومن الفلسفات التي اتخذت منه مقولة جوهرية في تحليلاتها وتصوراتها الفلسفة الوجودية بداية من عرابها الدانيماركي سورين كيركغارد الذي يرتبط القلق عنده بمعنى مزدوج :نفسي وأنطلوجي، فعلى الصعيد النفسي يرتبط القلق بالشعور بالذنب وهذا ما يرتبط بالتقليد الغربي المتعلق بالخطيئة الأولى وبالتجربة التي عاشها كيركغارد من اللعنة الإلهية التي لاحقت أسرته وتسببت له بالقلق طوال حياته .

كما يرتبط القلق من الناحية النفسية بالجنسانية التي مثلت حجر الزاوية في البناء الفرويدي، أما على الصعيد الأنطلوجي فالقلق مرتبط بالخلط بين الذعر والدهشة التي يثيرها العدم والموت لدى الإنسان، والرابط بين الذنب والدهشة هو الحرية والحل في التخلص منه بالنسبة لكيركغارد هو الاختيار .

أما القلق عند مارتن هيدغر فهو مرتبط بعجز الإنسان على أن يكون هو نفسه، لأنه يشعر بأنه غير أصيل فهو يعيش الاغتراب مع ذاته ويتشكل القلق في عبارة "الخوف من..." و بهذا يكون القلق وجوديا لا ينفلت منه إنسانا يقول هيدغر " كل دازاين هو دازاين قلق " ومن أسبابه أن الإنسان مقذوف به في هذا الوجود دون رحمة أو شفقة أو ضمانات، فقد جاء من العدم ليواجه مصيره بمفرده .

كما أنه كائن للموت والموت يهدد كيانه الأصيل خاصة أن الإنسان كما يرى سارتر مشروع وليس موضوع و الموت هو الحائل الذي يقف بيننا وبين تحقيق ماهيتنا، كما أن وجودنا مع الغير يبعث إلى عدم الارتياح ويثير فينا القلق، الغير يهدد ماهيتنا ويترصدنا في كل لحظة يقول سارتر "الجحيم هو الآخر ".

وتعتبر الحرية من أهم المشكلات التي تخلق القلق عند الوجوديين، فالإنسان حر مختار وفي اختياره يقرر نقصانه لأنه لا يستطيع أن يختار كل الممكنات بل إمكانية واحدة فقط تمثل ماهيته التي لا يعلم إن كان سيوفق فيها أم سيخفق و بهذا فهو يخاطر و يجازف بماهيته يقول كيركغارد " والاختيار يجر إلى الخطيئة والخطيئة تجر إلى القلق و اليأس " .

وما يزيد من شدة القلق عند الوجوديين أن الإنسان لا يختار لنفسه فقط بل يختار للبشرية جمعاء و هذا يعني أنه ليس مسؤولا عن ذاته فقط بل مسؤولا عن جميع الناس.

التواصل: la communication

إذا كانت اللغة هي الخطاب الجوهري للفلسفة و كان التواصل هو الغرض الرئيس للغة كان فعل التواصل من أهم وظائف الفلسفة، لذلك سعى بعض الفلاسفة إلى الاهتمام بالتواصل باعتباره مصدرا مهما في الفلسفة وهذا ما نجده عند يورغن هابرماس أحد أعضاء النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت و التي قامت بنقد راديكاليا للحضارة المعاصرة وما قامت عليه العقلانية البورجوازية الأداتية التي خانت التنوير وما بشر به فلاسفة الأنوار من سعادة ورقي و حضارة نتيجة لسيطرة العقل، لكن ما وقع تاريخيا هو العكس تماما فقد تحول العقل إلى اللاعقل و لم يعد العقل يقوم بالوظيفة المنوطة به، فهو لم يعد يفكر وغرضه إرضاء جشع الآلة المتنامي، والبديل عند هابرماس عن العقل الأداتي هو العقل التواصلي القائم على الحوار لتحقيق التفاهم و لا تفاهم بدون لغة غير أن الفعل التواصلي لا يمكن أن يكون بين الأطراف المتحاورة إلا بشروط .

شروط الفعل التواصلي :

1- الفعل التواصلي علاقة تفاعل بين شخصين أو أكثر في العالم المعيش، وبإمكان أي فرد قادر على فعل الكلام أن يشارك في التجربة التواصلية، على أن يعلن الاعتراف بمزاعم أو مطالب الصدق المتفق عليه بين الذوات" [1].

2- مبدأ تكافئ الفرص بين المشاركين في الحوار، أين يكون لكل واحد منهم الحق في الدفاع أو الاعتراض أو السؤال أو الحوار، مع الاعتراف بإمكانية الوقوع في الخطأ، وإمكانية تصحيحه.

3- لا تمارس أي سلطة على الحوار غير سلطة العقل ليتحرر النقاش من كل أشكال التسلط و الهيمنة التي يمكن أن يتعرض لها من الخارج – أي- أن الحوار ينبغي أن يكون حرا بين ذوات حرة و متساوية في المكانة لضمان مثال للحديث

4- يجب أن يتمتع الحوار بقواعد أخلاقية، والتي من أهمها ضمان الإجماع من خلال تكريس العقلانية التي تفرض نفسها على أطراف التواصل

[1] عطيات أبو السعود ، حصاد فلسفة القرن العشرين، مصر ،منشأة المعارف ، ص 104

5- تهدف التجربة التواصلية للوصول إلى اتفاق بين المشاركين في النقاش و يفترض وجود تعارف متبادل بين المتحاورين، ووجود نوع من التقارب في وجهات النظر

6- تفترض أخلاقيات النقاش أن المشارك في التواصل يختار تعبيرا معقولا و دقيقا لكي يتمكن من المتحاورون من تفهم بعضهم البعض ليتحقق التداول . فالبرهان القوي برأي هابرماس هو الذي يفرض نفسه في عملية الحوار، فيعتمد على دلالات معقولة وأخلاقية وهما الشرطان الضروريان للتواصل .

7- التواصل يقوم على الصدق، فإذا تعرض للشك أو عدم التواصل من خلال التبرير بالحجج العقلية، فمزاعم الصدق نفسها تصبح موضع مساءلة.

معيار التواصل عند هابرماس

إن التواصل عند هابرماس لا يمكن أن يتحقق أو يتجسد في أرض الواقع إلا من خلال تحقق جملة من الضوابط الصورية والنحوية للغة، فالتفاهم والاتفاق لا يتأتى إلا من لغة سليمة . فالتداولية الصورية عند هابرماس تقوم على جملة من المعايير وهي :

1- الصدق : وتكون عبارة المتكلم صادقة لا تحتمل التزييف وإلا كان فقد مبررات وجوده.

2- المصداقية : ينبغي استعمال عبارات معينة لتكون أفكار المتكلم قابلة للفهم تتضمن الحقيقة في التعبير عن النوايا و المقاصد .

3- الصلاحية المعيارية: يجب أن يتماشى مدلول العبارات والكلمات متطابقا مع السياق المتعارف عليه في المجتمع ولا يخرج عنه.

4- المعقولية : وترتبط بشكل البرهان، و الخطاب الذي يجب أن يخضع لضوابط عقلانية حتى يؤدي إلى الاتفاق"[1] .

[1] حسن مصدق .(2005) .*يورغن هابرماس و مدرسة فرانكفورت* .بيروت لبنان :المركز الثقافي العربي، ص 131

أصول خارج الطبيعة البشرية (تاريخ الفلسفة) :

يشكل تاريخ الفلسفة مصدرا جوهريا من مصادر الفلسفة، فلكل شيء بداية و بداية التفكير الفلسفي هو المناخ الفكري والإيديولوجي والسياسي والفني والديني الذي يسبقنا إلى الوجود و الذي يضع مقولاته و معطياته في لحظات تاريخية، و الفيلسوف لا يمر بالقضايا التي ترتبط بمصير الإنسان مرور اللامبالاة، وإنما يتفاعل معها فيأخذ منها ما يأخذ ويترك منها ما يترك، كما يمكن أن يتأثر بها ويثمنها ويسعى إلى تطويرها وتكون فلسفته امتدادا للفلسفات السابقة ويمكن أن يعلن العداء عليها ويؤسس على أنقاضها فلسفة جديدة، وفي كلتا الحالتين يكون موقف الفيلسوف إسهاما في الصرح المعرفي للبشرية .

فقد تغذت الفلسفة اليونانية على الفكر الشرقي القديم وقد خاضت هذه الحضارات في مختلف القضايا الفلسفية " وباختصار فإن القارئ خلال صفحات هذا الكتاب سوف يلتقي بالفلسفات المثالية والواقعية والمادية والروحية، والواحدية والتعددية .. كما سيلتقي بالنزعة العدمية، واللاأدرية، ومذهب الشك الفلسفي ..الخ

فضلا عن مناقشات مستفيضة لمفاهيم فلسفية أساسية كالجزئي والكلي والفردي، والصيرورة والوجود والعدم، والدوام والثبات والهوية، والمطلق والنسبي والمشروط، والذات العارفة، والموضوع المعروف، والسببية والاعتماد المتبادل، والتأثير والتأثر، كما سيجد مناقشات لطرق المعرفة الممكنة أو ما يسمى بنظرية المعرفة، وأراء متنوعة حول المنطق "[1] وهذه الموضوعات هي أم المشكلات الفلسفية التي عالجتها الفلسفة اليونانية والتي ترجع إلى حضارات الفكر الشرقي القديم .

كما استفاد الفلاسفة المسلمون من الإرث اليوناني وتأثروا بالعقلانية اليونانية التي قامت على الخطاب العقلاني المنطقي، وهذا ما يتضح في فكر الكندي وابن سينا والفرابي وابن رشد وابن طفيل. كما تأثرت الفلسفة المسيحية بالإرث الفلسفي اليوناني، فقد تأثر القديس أغسطين بأفلاطون وهذا ما يظهر من خلال كتاب " مدينة الله" كما تأثر توماس الأكويني بأرسطو وابن رشد .

---

[1] جون كوهلر ،الفكر الشرقي القديم ، تر: كامل يوسف حسين ، مرا: إمام عبد الفتاح إمام ، الكويت ، دار المعرفة ، 1995، ص 10

أما الفلسفة الحديثة فقد قامت على أنقاض الفلسفة المدرسية و سعت إلى إيجاد فلسفة جديدة تتجاوز سلطان التفكير التقليدي الذي عمر لقرون طويلة من الزمن، وهذا ما يتضح من خلال الفلسفة العقلانية التي تطورت على يد ديكارت والتي ترفض كل الأفكار التي تتعارض مع البداهة العقلية كما رفض بيكون كل الخرافات والأساطير و الأفكار التي تحظى بالتقديس لمجرد ارتباطها بالموروث الاجتماعي أو الديني معتبرا إياها مجرد أصنام ينبغي تحطيمها رافضا المنطق الأرسطي و داعيا إلى المنهج الاستقرائي القائم أساسا على الملاحظة والتجربة.

و قد أشاد عصر الأنوار بالعقل و دوره في تحقيق الرقي و التطور الذي كان الدين حائلا أمامه و من أهم فلاسفة هذا العصر جان جاك مونتيسكيو و جون لوك و روسو وفولتير وكانط وتوج عصر التنوير بالثورة الفرنسية 1789 التي فسحت المجال أمام الثورة الصناعية الكبرى في القرن الثامن عشر وانتشار الحركات الاستعمارية كنتيجة للعقل المستنير الذي كاد أن يقضي على الجنس البشري من خلال الحربين العالميتين فتمخضت عن هذه النظرة التشييئية للإنسان فلسفات حيوية تعطي قيمة كبيرة للإنسان مثل الفلسفة الروحانية مع برغسون و الوجودية مع سارتر تمجد حرية الإنسان و تهتم بما يعيشه من قلق وخوف ومخاطرة و حرية كرد فعل على الفلسفات المادية التي ذوبت الوجود الإنساني في الوجود المادي .

أسئلة حول المحاضرة :

– قدم مثالا عن كل خاصية من خصائص التفكير الفلسفي .

ما الدافع إلى القلق في الفلسفة ؟

ما هو سبيل اليقين عند فرانسيس بيكون ؟

هل ينبغي أن توجد هذه المصادر مجتمعة في الفيلسوف ؟

المحاضرة الرابعة :

قيمة الفلسفة :

لطالما تباينت وجهات النظر بين المفكرين والفلاسفة في قيمة الفلسفة بين مؤيد لها باعتبار أنها حاجة إنسانية خالدة يرتبط وجودها بمصير الإنسان وهناك من رفضها لاعتبارات معينة .

أنصار الفلسفة :

لقد سخر الكثير من الفلاسفة فكرهم للذّود عن الفلسفة وذلك أنها تسعى إلى إشباع الرغبة الطبيعية للإنسان في المعرفة وتنمية قدرات التفكير والقدرة على حل المشكلات بالإضافة تكوين وجهة نظر شخصية عن العالم فالإنسان ليس متلق سلبي وبهذا فهي تساعد على تنمية وعي الإنسان وفهمه لذاته وإقامة الإيمان الديني على أساس عقلي كما تهدف إلى تحليل ونقد الواقع الاجتماعي بغرض إصلاحه وتقديم حلول لهذه المشكلات من أهم الفلاسفة

- **سقراط** : فقد أكد الحكيم اليوناني سقراط على أهمية الفلسفة في بلوغ الفضيلة وتحقيق السعادة، وذلك أن الإنسان لا يفعل الرذيلة عن علم و إنما عن جهل ولا يتخلص من الجهل والرذيلة إلا من خلال المعرفة والفلسفة و بهذا يكون إنسانا فاضلا وبالتالي مستحقا للسعادة يقول في ذلك " الإنسان الفاضل سعيد " لذلك كرس حياته لتعليم الشباب الفضيلة و القضاء على الجهل .

- **أفلاطون**: فقد بين أهمية الفلسفة و قيمتها في قيادة الدولة حيث يقول: " المماليك سعيدة حيث الفلاسفة ملوك والملوك فلاسفة".فالفيلسوف فقط الذي يستطيع أن يتجاوز العالم المادي المزيف والمتغير والذي يسميه بعالم الأشباح والظلال ويصل إلى عالم الحقائق الثابتة والأزلية والسرمدية التي تتجاوز حدود هذا العالم، كما أنه يلم بشؤون السياسة والأخلاق والعدالة و الاقتصاد المعرفة التي لا يمكن قيادة الدولة في غيابها .

-**أرسطو** فقد ميز بين الفلسفة النظرية التي تبحث في الرياضيات و الميتافيزيقا والعلم الطبيعي و الفلسفة العملية التي " تنقسم إلى ثلاثة أقسام

أ- الأخلاق و موضوعها الإنسان الفرد.

ب- تدبير المنزل وموضوعه أفعال الإنسان في الأسرة

1- السياسة و موضوعها أفعال الإنسان داخل الجماعة."[1]

هذا فضلا عن الفنون و ما تتضمنه من شعر و خطابة و جدل.

و الفلسفة عند أرسطو تتناول هذه المجالات الثلاثة و من يقف موقف اللامبالاة من هذه الموضوعات المتجذرة في كنه الطبيعة البشرية فلا قيمة لوجوده لذلك يقول " الحياة الخالية من التأمل حياة لا تليق بالبشر " كما أنه لا مناص للإنسان من الفلسفة وحتى إن حاول رفضها فلن يكون له ذلك إلا من خلالها " يقول في هذا " إن كل رفض للفلسفة يحتاج إلى فلسفة ".

أما فلاسفة الإسلام فقد وجدوا في الفلسفة مقصدهم في الدفاع عن الدين من خصومه عن طريق الحجاج العقلي و البرهان المنطقي و كان لخصوبة اللغة العربية وثرائها من جهة والقضايا المستجدة التي جاء بها الدين الإسلامي من جهة ثانية مثل الحساب والعقاب والجنة والنار والمستحب والمباح والمندوب والمحرم والوعد والوعيد والقضاء والقدر وغيرها الأرضية الخصبة للفكر الفلسفي لذلك دافعوا عنها وعكفوا على ترجمة الكتب اليونانية ومنهم :

- **أبو نصر الفرابي** (339م-950م) من أهم فلاسفة هذا العصر حيث لقب بالمعلم الثاني وقد أكد على أهمية الفلسفة في كل العلوم فليس هناك علم لا يتضمن تحليلا فلسفيا حيث يقول:" الحد الصحيح مطابق لصناعة الفلسفة، وذلك يتبين من استقراء جزئيات هذه الصناعة وذلك أن موضوعات العلوم و موادها لا تخلو من أن تكون : إما إلهية وإما طبيعية و إما منطقية و إما رياضية أو سياسية من موجودات العالم وللفلسفة فيها مدخل وعليه غرض ومنه علم بمقدار الطاقة الإنسانية" [2]

---

[1] محمد عبد الرحمان مرحبا ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، ص160

[2] أبو نصر الفرابي، الجمع بين رأيي الحكيمين، تحقيق د ألبير نصري نادر، بيروت 1960، ص80

– **ابن رشد**(980–1037م) دافع عن الفلسفة رادا على المعادين لها والرافضين لمناهجها معتبرا الأخذ بالفلسفة واجبا بالشرع فالشرع يدعونا إلى النظر والاعتبار في الكثير من الآيات بالبرهان العقلي، هذا الأخير الذي سبقتنا إليه أقوام من نحل أخرى ، فإن تعطيل ذلك يعني معارضة الشرع " فقد تبين من هذا أن النظر في كتب القدماء واجب بالشرع إذا كان مغزاهم في كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه وأن من نهى عن النظر فيها ...فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس إلى معرفة الله وهو الباب النظر المؤدي إلى معرفته حق المعرفة و ذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى"[1]

كما دعا ابن رشد إلى الاعتماد على الخطاب المنطقي البرهاني الذي يتخذ من المنطق الأرسطي منطلقا له لكي لا يزيغ العقل في النتائج التي يتوصل إليها من أحكام الشرع " وأن هذا لا النظر لا يتيسر إلا لمن درس أداته الضرورية وهي المنطق دراسة عميقة تؤهله لاستخدامه على خير وجه حتى تكون النتائج المستنبطة من أقيسة يقينية لا يتطرق إليها الارتياب "[2]

– **ديكارت** أكد في كتابه " مبادئ الفلسفة " على أهميتها على اعتبار أنها المقياس الاساسي لتقدم الشعوب والحضارات والأمم حيث يقول يتوجب علينا الاعتقاد بأن الفلسفة وحدها هي التي تميزنا عن الشعوب المتوحشين والهمجيين وحضارة كل أمة إنما تقاس بقدرة ناسها على تفلسف أحسن " ويقول: " الخير كل الخير في أمة فيها فلاسفة حقيقيون " فلا حضارة في غياب الفكر ولا فكر في غياب الفلسفة لذلك يشبه ديكارت الذي يعزف عن الفلسفة بالأعمى الذي يتحسس طريقه في الظلام .

– **برتراند راسل** في الفلسفة المعاصرة أكد أن قيمة الفلسفة متأتية من كونها تتطرق للكثير من القضايا التي يعجز العلم عن مناقشتها لأنها ليست من مجال اختصاصه لذا لا يستطيع أن يقول فيها

---

[1] ابن رشد ، فصل المقال، تقديم وتعليق: أبو عمران الشيخ ، جلول بدوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1982 ص31

[2] محمد غلاب، المعرفة عند مفكري المسلمين، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، 1966،ص 308-309

كلمة مثل السياسة الميتافيزيقا والأخلاق والقيم والعدالة و هي قضايا خطيرة في الحياة، كما رد على أنصار النزعة الوضعية العلمية الذين رفضوا الفلسفة لأنها لا تستجيب للتطورات العلمية الحاصلة، وبين أن الكثير من القضايا العلمية التي كانت تعتبر بمثابة يقين علمي لا يتطرق إليه الشك ليتضح بفضل الفلسفة أن ذلك اليقين العلمي خطأ فادح .

أسئلة حول المحاضرة

- هل مازالت الفلسفة تحتل نفس المرتبة في ظل التطور العلمي الحديث ؟
- هل تكفي الفلسفة لتحقيق سعادة و استقلالية الاجنس البشري ؟
- هل عبرت الفلسفة دائما عن حقيقة الدين ؟ و هل دائما كانت خادمة له؟

المحاضرة الخامسة

خصوم الفلسفة :

لقد تعرضت الفلسفة لانتقادات عديدة من قبل المفكرين والفلاسفة و منهم :

أبو حامد الغزالي: الذي انتهج منهج الشك في كل الموروث الفكري و الديني الذي كان محل جدار بين الفرق والطوائف الدينية في عصره مثل المعتزلة الجبرية و الصوفية و الباطنية والشيعة والخوارج والأشاعرة والتي عرضت الكثير من القضايا التي تخص الدين و التي بلغت من الاختلاف حد التناقض في الإلهيات لذلك عارض الفلاسفة المتقدمين و طرق استدلالاتهم و النتائج التي وصلوا خاصة ابن سينا والفرابي إليها في كتابه " تهافت الفلاسفة " .

و وصل به الأمر إلى تكفيرهم حيث رد فيه على أقوال الفلاسفة و نقض تعاليمهم وأبطل حججهم و يعتبر هذا الكتاب بمثابة منعرج في تاريخ الفكر الفلسفي عند المسلمين، وكان كتاب "إحياء علوم الدين" الذي كتبه في مرحلته الأخيرة كبديل عن المنهج الفلسفي وبين تهافت الفلاسفة المسلمين في قضايا أهمها أن الله لا يحيط بالجزئيات الحادثة مع الأشخاص وفي قولهم بأن العالم قديم أزلي وأن الجواهر كلها قديمة وفي إنكارهم بعث الأجساد وقد كفرهم في هذه القضايا .

ابن خلدون: (1332-1406) لم يختلف موقف ابن خلدون حول الفلسفة عن الغزالي الذي تأثره بآرائه في الفلسفة " فهو يشيد به ويذكره بالكثير من التجلة والاحترام ويحذو حذوه في نقد الفلسفة وتوجيه المطاعن إلى أصحابها ، رغم أنه كان ملما بها مستبحرا في علومها"[1] وقد أكد ابن خلدون أن العقل ميزان صحيح و أفكاره دقيقة غير أننا لا يجب أن نطمع أن نزن الجبال بميزان الذهب خاصة فيما تعلق الأمر بالغيبيات والإلهيات التي تتجاوز حدود العقل في المعرفة، فلنتائج التي تصل إليها الفلسفة إنما هي نتائج ظنية مقارنة بنتائج المعرفة الناتجة عن المشاهدة و التجربة.

[1] محمد عبد الرحمان مرحبا ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ،ص 775

كارل ماركس Karl Marx (1818-1883): تأثر كارل ماركس بالمنهج الجدلي الهيجلي، غير أنه قلبه رأسا على عقب، فليس الوعي هو الذي يصنع المادة كما يرى هيجل من خلال تطور الروح و إنما المادة هي التي تصنع الوعي، فكانت جدليته جدلية مادية " إن إنتاج الأفكار والتمثلات والوعي يرتبط قبل كل شيء بصورة مباشرة وصحيحة ، بنشاط البشر المادي وتعاملهم المادي، إنه لغة الحياة العملية ... كذلك الأمر بالنسبة إلى الإنتاج الذهني كما يتجلى في لغة السياسة، القوانين، الأخلاق، الدين، الميتافيزيقا الخ لدى شعب من الشعوب، فالبشر هم الذين ينتجون تمثلاتهم، أفكارهم ،الخ لكن البشر الواقعيين، الفاعلين، كما يشترطهم تطور معين لقواهم الإنتاجية "[1]

فالإنسان عند ماركس كائن مادي لحم و دم و عظم و ما الفكر إلا نتاجا لعضو مادي هو المخ.

لذلك رفض الفلسفة لارتباطها بالجانب الميتافيزيقي فالفكر هو نتاج التغير المادي والوعي هو وعي بحركة المادة، وليس وعيا مجردا مثاليا لذلك اكتفت الفلسفات السابقة بتفسير العالم دون البحث عن آليات التغيير.فالفكر عند ماركس لا يدرس بمعزل عن سياقاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتي تشكل البنية الفوقية التي ليست أكثر من انعكاس للبنية التحتية التي تشمل علاقات الإنتاج ووسائله يقول في ذلك: " إن الفلاسفة لم يفعلوا شيئا سوى تقديم تفسيرات نظرية للواقع وفي الحقيقة يجب تغييره بقصد إلغاء المآسي".

أوجيست كونت Auguste Comte (1798-1857): رفض الفلسفة لارتباطها بالميتافيزيقا في وقت طغى عليه التطور المادي واعتبرها مجرد مرحلة عابرة من مراحل تطور الفكر البشري التي ولى عصرها وهذا ما يتضح من خلال تقسيمه لمراحل تطور الفكر البشري التي تنطلق من المرحلة اللاهوتية والتي فسر من خلالها الإنسان كل الظواهر الطبيعية إلى وجود قوى مفارقة ثم المرحلة الميتافيزيقية التي بحث فيها الإنسان في قضايا ترتبط بمصيره من حرية وعدالة و فضيلة .

[1] كارل ماكس ، فريدريك انجلز ، مختارات فلسفية ، تر: ياسين الحافظ ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، ط1: 1974 ص 57-58

أما المرحلة الوضعية وهي المرحلة الراهنة فهي مرحلة التطور العلمي الحديث الذي لا مجال للفلسفة فيه، وكان هدف كونت أن يجعل من علم الاجتماع علما قائما بذاته مثل فيزياء نيوتن منفصلا عن الفلسفة وتفسيراتها الميتافيزيقية .

أسئلة حول المحاضرة:

- ما السبب الذي يؤدي بفيلسوف أو مفكر إلى رفض الفلسفة ؟
- هل أوجد خصوم الفلسفة بديلا كافيا عن الفلسفة لمعالجة القضايا التي ترتبط بمصير الإنسان؟
- هل تمكن خصوم الفلسفة من التخلي عنها في تهجمهم عليها ؟

المحاضرة السادسة

علاقة الفلسفة بالدين والفيزياء

عرف الفكر البشري حلقات متوالية من التطور و التحولات الراديكالية في المنطلقات والأهداف والوسائل في فهم العالم الفيزيقي و الميتافيزيقي ، بداية من التفكير الميثولوجي الخرافي الأسطوري والثيولوجي الغارق في تأليه الظواهر الذي ساد حضارات الفكر الشرقي القديم و الذي عمل على تفسير الظواهر الطبيعية التي واجهت الإنسان و التي كان من المتعذر أن يتجاهلها أو أن يقطع الصلة بها وذلك أنها ترتبط بوجوده في العالم، فضلا عن وجوده الميتافيزيقي الذي يقرر مصيره و يكفل وجوده يضمن استمراره، فنظر إلى حاله ونسب للطبيعة قوى مشابهة للقوى التي يتمتع بها فأوجد لها روحا مماثلا لروحه و سماه بالله أو بصفة أعم الآلهة وجسدا مماثلا لجسده وهو الطبيعة، واسقط على هذا الروح انفعالات مماثلة لانفعالاته من غضب و فرح و حزن ...

4-1علاقة الفلسفة بالدين عند الشرقيين :

لقد عج الفكر الشرقي القديم بالوثنية وتعدد الآلهة التي يقدم لها القربان خوفا من بطشها أو طلبا لرضاها، و امتزج التعبد بين الخوف والرجاء ولعبت الأسطورة دورها في إشباع فضول الإنسان الشرقي في الربط بين الآلهة والصراع القائم بينها، كما تميز هذا العصر بالبحث عن سبل نيل الخلاص من خلال السحر والتنجيم والتعاويذ والطلاسم والكفارات والقربان ...

الحضارة المصرية القديمة :على الرغم من خوضها في مسائل ترتبط بجوهر الفكر الفلسفي كالأخلاق ومصير الروح بعد فناء الجسد والعقاب في الحياة الثانية إلى أنها امتزجت بالتحليل الأسطوري الخرافي و الممارسة العملية الذاتية في ظل تعدد الآلهة المحلية أكثر مما هي بحث عقلاني شمولي، وإن برعوا في الهندسة و الحساب إلا أنهم لم يجعلوا منهما علمين قائمين بذاتهما بدليل أنهم " لم يصلوا إلى نظريات تشبه نظريات إقليدس، و إنما هي أفكار متفرقة لا تماسك فيها و لا رابطة بينها ... " [1]

[1] محمد عبد الرحمان مرحبا ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص60

الحضارة الفارسية: فقد ارتبط فكرها بأصلين للكون و هما أهورا مازدا (Ahura Mazda) إله الخير والنعم وسبب النظام والعدالة و محاسبة النفوس بعد الموت عن الرذائل التي اقترفتها قبل الموت وأهريمان (Ahriman) إله الشر والمصائب والمرض والموت وملك الشياطين .

وانحصر الفكر في الصراع بين الإلهين بين الخير والشر والظلمة والنور هذا ما عكسته تعاليم الكتاب المقدس عند الإيرانيين الزند أفستا (Zend Avesta) وعلى الرغم من رفعة الحضارة الفارسية الأخلاقية و بحثها عن عالم فاضل إلا أن الصراع بين الآلهة قد طغى عليها و وإن كانت لهم نظريات في المعرفة إلا أنها تقوم على الكشف و الذوق لا العقل و المنطق .

الدين عند الهنود :و في الوقت الذي عجزت فيه الحضارات الشرقية عن البحث الفلسفي فقد اتجه **الهنود** إلى النظر الفلسفي في معتقداتهم الدينية والتي عبروا عنها في أسفارهم منذ القرن الخامس عشر حتى القرن السادس قبل الميلاد، وما ميز هذا التفكير هو أثارت المشكلات الفلسفية وعجزهم على حلها لارتباطها بحالات النيرفانا التي يسلكها البراهمية والبوذيين بإماتة الرغبة و النزوة و الشهوة و تحقيق الانعتاق من ملذات العالم و في ذلك إذابة للتصورات الفلسفية التي تعتمد على الحجاج العقلي.

فالتأمل الهندي كان فارغا من كل محتوى فهو لا يثبت ولا ينفي ولا يشك ولا يؤكد، مع ذلك فقد اعتقد الهنود بالخلاص والثواب و العقاب وبوجود حياة أخرى و بتناسخ الأرواح الشريرة التي تمجد في حياتها الرغبة، إذن لا سبيل إلى الراحة الأبدية إلى بإفراغ الروح و اللجوء إلى النيرفانا باعتبارها سبيل الخلاص. فالعقل عنهم يخلق كل شيء في الحلم أو اليقظة و حتى العالم التجريبي الذي نحياه ما هو في حقيقته سوى حلم عظيم فهو مجرد سراب وكل شيء من إنتاج عقولنا.

الدين عند الصينيين : هناك تماثل في الديانات الصينية و الديانات الهندية نظرا للتقارب في العادات والتقاليد، وتفكيرها يعبر عن أصالة و استقلالية و إبداع لكونها متجذرة في التاريخ التي قامت على عبادة السماء باعتبارها المنظمة لقوانين الوجود وهي التي تربط بين كل عناصره وتحقق له السلام والانسجام والفضيلة العليا عند الصينيين هي الخضوع لهذا النظام غير أنه قام على ثنائية مستمدة من ثنائية عناصر الطبيعة مثل البرودة و الحرارة والظلمة و النور و الذكر و الأنثى ...

و تعارض هذه العناصر يعكس تعارض قوتان هما **اليين Yin** و **اليـنغ Yang** وتغيرهما وفقا لنظام **الطاو Tao** وهذان المبدآن ليسا في تعارض وصراع وإنما في تكامل والطاو هو الذي يضمن

اتساقهما، و هذا يكون اليين واليانغ مظهران للطاو، ويكفي السحرة التعرف على الطاو حتى يتحكمون في الزمان والمكان ويحققون النظام في العالم. وقد رفض الصينيون العقلانية اليونانية و المنطق القائم على عدم التناقض، واهتموا بالموسيقى التي تستوعب في ألحانها السماوية كل شيء، وهذا خلافا **لتشوانغ تسي Tchouang–Tseu** أعطى **كونفوشيوس Confucius** الأولوية للشعائر والطقوس الدينية باعتبارها أساسا للنظام الاجتماعي القائم على الحكمة في الحياة دون المبالاة لما بعد الموت، فالحكمة تقضي الأخلاق في المجتمع.

علاقة الفلسفة بالدين عند الإغريق :

أما الدين في الحضارة اليونانية فقد كان أكثر عقلانية فقد تجاوز السحر و التعاويذ وانطلق من تقديس العقل إلى حد تكذيب ما لا يتفق معه " فالعقل هو قانون الأشياء، كما أن الأشياء إنما تسير وفقا لقانون العقل. والله والعقل لفظان مترادفان، فالله إنما هو عقل خالص والعقل الخالص هو التعبير الفلسفي عن معنى الله "[1]

غير أن البدايات الأولى قد امتزجت بالتفكير الميثولوجي وهذا ما عبر عنه الشعراء في **القرن التاسع و الثامن قبل الميلاد** مع **هوميروس** الذي تصور الآلهة على صورة البشر حيث تمثل تعيش فوق جبل الأولمب و تؤلف حكومة مدنية يرأسها إله الآلهة زيوس وهم يتزوجون و يتناسلون ...و هذا ما يتضح من خلال الإلياذة و الأوديسة .أما عند **هزيود** فقد ربط بين الآلهة والمدن حيث جعل لكل مدينة إلهها الخاص الذي تدود عنه و كان الإلحاد خيانة للوطن.

ومع **الأيونيين** نشأ التفكير الطبيعي بدلا من الأسطوري مع طاليس و انكسيمانس وهراقليدس ...هذا في القرن السادس ق.م، ومع **الإيليين** نشأ التفكير فيما وراء الطبيعة ضد المشبهة والمجسمة مع إكسانوفان حيث يرى أن الناس آلهتهم و أسقطوا عليها عواطفهم وصورهم والحقيقة أن الله واحد ليس كمثله شيء، و هو أول من وضع التقابل بين التشبيه والتنزيه والفكر الفلسفي والأسطوري .وفي القرن الرابع عاد التفكير الطبيعي مع أمبادوقليدس الذي تصور أن الآلهة والأنفس مزيج من العناصر الأربعة الماء والهواء والنار و التراب .

---

1 عبد الرحمان مرحبا ،من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية ،75ص

ونزه **سقراط** الآلهة من اللذة والغريزة، فهي ترعى من يتنزه من الشهوات و يسعى إلى الفضيلة والعدالة ولم يكترث سقراط للشعائر والطقوس الإغريقية بقدر اهتمامه بالجانب الأخلاقي لذلك اتهم بإفساد عقول الشباب .

و الله عند **أفلاطون** روح عاقل منظم محرك، وخير و كامل وهو واحد لا كثرة فيه بسيط لا تركيب له أبدي ثابت أعد للعادلين ثوابا و للظالمين عقابا و لا مجال لارتشاء الله بالقرابين، فالآلهة خلقت النفس العاقلة للحياة الإلهية والغضبية و الشهوانية للحياة الأرضية لذلك يجب التشبه بالله لكي ترجع الروح إلى مستقرها وبهذا لا يمكن الفصل بين نظرية أفلاطون الفلسفة و نظرته الدينية .

أما الله عند **أرسطو** لا يعرف العالم و لا يعتني به فهو يعرفه فقط في ماهيته لا في وجوده ،فالله كامل و الكامل لا يعتني إلا بالكمالات و عظمته تنزهه من ملابسات العالم المادي ،والطريق إلى الله هي ممارسة الفضيلة باعتباره النموذج التي تتجه إليه و يسميه بالمحرك الأول للوجود و المحرك الذي لا يتحرك ...

و قد تباينت وجهات النظر بين **أبيقور Apicurus (341-270 ق.م)** الذي يرى أن الآلهة سعيدة بذاتها وهي لا تبالي بآلام البشر و لا تكترث لها ، و بهذا فالآلهة هي الشر ذاته ، لذلك على الإنسان أن يتخلص من الخوف منها أو الاكتراث لرضاها عنه أو سخطها عليه ،و بين **الرواقية** خاصة مع **زينون الرواقي (336-264 ق.م)** ترى أن الله هو العقل المنبثق في هذا العالم الذي هو جزء منه وهذا يترتب عليه وجود الغائية و الضرورة المطلقة، وبهذا فالعالم الإلهي معقول و غائي يمكن التوجه إليه بالصلاة و الدعاء لكونه مبدأ الحركة والسكون. و بهذا تظهر لنا الفلسفة اليونانية تعددها و اختلافها الديني و العقائدي الذي يصل حد التناقض بين مجسمة و منزهة، ومدافعة عن و معترضة على تقديس الآلهة.

علاقة الفلسفة بالدين في الفلسفة المسيحية

وبعد ظهور المسيحية ظهرت عدة حركات دينية تجمع بين نحل متعددة مثل **الغنوصية** وهي نحلة صوفية شرقية يونانية مسيحية غايتها الوصول إلى الله عن طريق الإشراق الباطني الذي يحقق خلاص البشر، وهي كلمة يونانية مستمدة من"غنوسيس" وتعني المعرفة ،وامتدت الغنوصية الى اليهودية وسعت إلى تأويل التوراة تأويلا روحيا صوفيا،وفي القرن الثالث ظهرت المانوية التي تجمع بين الدين الفارسي

القديم و الغنوصية والمسيحية انطلاقا من تقسيم العالم إلى مبدأين هما النور والظلمة، غير أن الفلسفة المسيحية مرت بمرحلتين:

ضمت أولاهما مرحلة آباء الكنيسة فكان هدف آباء الكنيسة منذ ظهور النصرانية حتى القرن التاسع الدفاع عن العقيدة المسيحية.

أما المرحلة الثانية فقد تميزت بإقحام الفلسفة في الدين وهذا بداية من القرن التاسع حتى القرن الخامس عشر" فكذلك انقسمت الفلسفة النصرانية إلى عصرين كبيرين ، يبدأ الأول منهما بدءا بظهور الدين النصراني و يضم كثير من آباء الكنيسة الذين كانوا فلاسفة قبل أن يكونوا رجال دين ... بدأ هذا العصر بالأب أوغسطين ...

ويمتد العصر الثاني من القرن التاسع وحتى القرن الخامس عشر و يلقب بالعصر المدرسي لأن التعليم فيه كان يقوم على مجموعة من الرهبان في مدارس الكنائس أو الأديرة...و كان يهدف أولئك المدرسيون إلى إلباس أهداف الكنيسة الدينية لباسا فلسفيا ومن أكبر ممثليها جون اسكوت إريجينا وانسلم وتوما الاكويني

و تنقسم الاتجاهات الفلسفية في العصر المدرسي إلى قسمين رئيسيين وهما الأفلاطونية والأرسطوطالسية أو المشائية ..."[1] و قد تباينت وجهات النظر بين من يؤكد الاتفاق التام بين الفلسفة اليونانية والمسيحية ويؤكد مدى تأكيد كل منهما للأخرى ، وبين الرافضين للفلسفة اليونانية التي تعتبر بدعة وثنية مخالفة تماما للعقائد المسيحية الإلهية.

وتعد حركة الإصلاح الديني التي جاءت على يد مارتن لوثرMartin Luther(1483-1586) في ألمانيا وجون كالفنJohn Calvin (1509-1564) في فرنسا وزونجلي في سويسرا مهدا لنشر

[1]إبراهيم مصطفى إبراهيم ،الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، الإسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر، ص 19

الوعي الديني القائم على احترام العقل وعدم الاستخفاف بقدراته التي طالما احتقرها رجال الدين، فهذه الحركات الدينية وغيرها كان لها دور كبير في تشكيل مواقف فلسفية من الدين في العصر الحديث أين تباينت وجهات النظر بين المؤمنين الذين فصلوا الدين عن الفلسفة واعتبروا الحقائق العقائدية فوق الإدراك العقلي، والذين جعلوا الفلسفة خادمة للدين ودافعوا عن العقيدة المسيحية وفلاسفة كانوا مؤمنين على طريقتهم وعارضوا العقائد والطقوس والمبادئ المسيحية وحافظوا على إيمانهم، بالإضافة إلى الملاحدة الثائرين والمنتقدين والرافضين للدين بطريقة راديكالية.

علاقة الفلسفة بالدين عند فلاسفة الإسلام

أما الفلسفة الإسلامية فقد قامت أساسا على عقيدة التوحيد، وأهم المسائل التي كانت مدار الخلاف بين الفلاسفة المسلمين قضية التوفيق بين العقل و النقل، والجدير بالذكر أن الفلسفة الإسلامية استفادت من الفلسفة اليونانية خاصة بعد حركة الترجمة التي قام بها ابن طفيل (توفى سنة 1185) وابن رشد(1126–1192م) وأبو نصر الفرابي (توفى سنة 339) وغيرهم زيادة على ظهور علم الكلام والفرق الكلامية التي كانت قضية التوفيق بين العقل و النقل أو الوحي من أهم القضايا التي دار حولها الجدل، بالإضافة إلى البحث في الذات والصفات والعدل الإلهي وحكم مرتكب الكبيرة والقضاء والقدر بين المعتزلة والأشاعرة والجبرية (الجهمية) وغيرها.

علاقة الفلسفة بالعلم :

علاقة الفلسفة بالفيزياء : تدرس الفيزياء العالم الطبيعي المادي الذي يختص بالذرات والزمان والمكان والمادة والطاقة والحركة والسكون بالإضافة إلى الكتلة والحجم و المسافة والزمن وغيرها وكيفية تأثير هذه الموضوعات على بعضها البعض ويعتبر ديموقريدس سباق الى تفسير العالم الطبيعي تفسيرا ذريا ، كما درس أمبادوقليدس عناصر الطبيعة وكيفية تأثيرها على بعضها البعض وهي الماء والهواء و النار والتراب، كما فسر هيراقليدس الطبيعة من خلال فكرة الحركية والتغير أو ما يسميه بالصيرورة، كما بحث أرسطو في الطبيعة وعن العلل المؤثرة فيها وتضمنت تحليلاته جملة من المفاهيم الفيزيائية مثل الثقل و سقوط الأجسام، وانطلق غاليلي من هذه المفاهيم ليصحح الكثير منها من بينها أن الأجسام الثقيلة أسرع في السقوط من الخفيفة ...

كما احدث نيوتن ثورة علمية في ميدان الفيزياء حيث أراد أن يكتب الطبيعة بلغة العدد من خلال تقنين الظواهر و تفسيرها بلغة الكتلة والحجم والسرعة والمسافة والزمن ... غير أنه انطلق من مفاهيم عقلية فلسفية مثل السببية والحتمية والاطراد كما لا تخلو أفكاره من مفاهيم ميتافيزيقية مثل الزمان المطلق والمكان المطلق في مقابل الزمان والمكان النسبيين ... ليعوض مبدأ الحتمية الذي قامت عليه الفيزياء الكلاسيكية باللاحتمية في الفيزياء المعاصرة مع ماكس بلانك و هيزنبرغ و غيرهما، كما انطلق آينشتاين من مفاهيم فلسفية في نظرياته الفيزيائية القائمة على نسبية الزمان والمكان انطلاقا من سرعة الضوء، وقد شدد اينشتاين في العديد من المناسبات على أن الفيزياء الحديثة لا يمكنها السيطرة على مسائلها الحالية بدون المعرفة الفلسفية .

أسئلة حول المحاضرة :

هل يكن الفصل بين الفلسفة كفر و الدين كمعتقد ؟وضح

هل ارتباط الفيزياء بالعالم الفيزيقي يتعارض مع كل ما هو ميتافيزيقي ؟

المحاضرة السابعة

علاقة الفلسفة بمختلف العلوم:

علاقة الفلسفة البيولوجيا و الطب:

لقد نشأ الطب في أحضان المعتقدات الميتافيزيقية بداية من الحضارات القديمة مثل الحضارة الفرعونية التي برع أطباؤها في التطبيب و في تحنيط جثث الملوك على خلاف ذلك كان التطبيب في حضارة الفرس مجانيا، موكلا إلى الكهنة، فبداية العلاج عند الكاهن تبدأ من خلال التجريب على أجسام الكفرة والفقراء المنبوذين لمدة سنة أو سنتين على اعتبار أن هذه الفئة من عبدة الشيطان، و إذا تماثلوا للشفاء فهذا يعني أن العلاج سوف يكون مؤكدا لعبدة إله الفرس **أهورا مازدا** و كان التجريب على هؤلاء بإيعاز من الآلة" يجب أن يجرب بنفسه في عبدة الشياطين لا في عباد الله " مع ذلك فلا بد للكاهن أن يخلص في العلاج، وتعتبر **المدرسة الطبية Cos** التي أسسها الحكيم **أبقراط** قد أسست الدعائم المثالية للأخلاق الطبية عبر التاريخ ،الذي رفض التفسير الميثولوجي الذي كان سائدا في عصره و الذي يعتبر المرض عقاب من الآلهة أو ما سمي بالمرض المقدس، وفسره تفسيرا طبيعيا عضويا، وبهذا فقد تخلّص الطب من الميثولوجيا والثيولوجيا والشعوذة.

أما عن الطب في البلاد الإسلامية فقد بلغ مقصده من خلال علماء الإسلام و إبداعاتهم واستفادتهم من حضارة الفرس و حضارة اليونان، وهذا ما يظهر عند ابن سينا الذي فسر البنية العضوية للإنسان استنادا على العناصر الأربعة المكونة للطبيعة وهي الماء والهواء والنار والتراب التي جاء بها أمبادوقليدس والتي اعتمد عليها أبقراط في دراسته العضوية، وبناء على سيادة الاضطراب في إحدى المكونات ينتج الاضطراب في المزاج .وفي الفترة المعاصرة حدثت ثورة بيولوجية أدت إلى التدخل في البنية العضوية للكائنات الحية ومنها الإنسان و التي تتضح أساسا في:

الثورة البيولوجية

تقترن الثورة البيولوجية في الفترة المعاصرة بالنظرية التطورية بعيدا عن رواسبها التاريخية التي ترجع إلى أنكسماندريس و أمبادوقليدس و أرسطو و ابن خلدون و غيرهم، حيث يعتبر لامارك Jean-Baptiste de Lamarck (1744-1829) من أهم الباحثين في ميدان علم الأحياء الذين فسروا نظرية التطور في

علم الأحياء، حيث يعتبر مؤسس علم الإحاثة اللافقاري واستنتج من خلال أبحاثه أن النباتات والحيوانات تغير أشكالها لتتلاءم مع بيئتها الطبيعية و شروط الحياة التي تتواجد بها و أن هذه التغيرات تنتقل إلى الأجيال اللاحقة، و استفاد منه داروين كثيرا حول نظرية النشوء و الارتقاء .

و رفض لامارك القول بوجود أنواع من الكائنات فليس من الدقة أن نفصل النوع عن جيرانه المشابهة له، فكل ما هنالك سوى موجودات فرادى، أما الأقسام و الفروع التي نجمع تحتها الأفراد و نقوم بتصنيفهم فما هي إلا أدوات فكرية قائمة على التجريد العقلي و ليس على الوقائع العلمية . و الاختلاف الموجود بين الأشكال النباتية والحيوانية يرجع في الأساس إلى قانونين أساسيين :

القانون الأول (قانون الاستعمال و الإهمال): في كل حيوان مازال في حالة تطور نجد أن العضو الأكثر استخداما يقوى تدريجيا و يتطور و ينمو بينما العضو الذي لا يستخدم باستمرار يضمحل و يتقلص تدريجيا و يضمر ليختفي.

القانون الثاني: بتكرار نفس الظروف على جنس ما عبر الأجيال تظهر أو تختفي صفات معينة و بهذا فتأثير الاستخدام السائد الغالب للعضو أو بتأثير عدم استخدامه ينتقل بالوراثة إلى أفراد جدد ينحدرون منه ، مثلا ذراع الحداد تنموا لتصبح أكبر و أقوى بسبب كثرة الاستخدام ، و حيوان الخلد أعمى لأن حياته بشكل مستمر في الجحور و رقبة الزرافة تطول بسبب جهدها في الوصول إلى أوراق الأشجار ....

كما يعتبر كتاب" أصل الأنواع " 1859 لتشارلز داروينCharles Robert Darwin (1809-1882) مرجعية هامة لعلم البيولوجيا، انطلاقا من مفهوم الانتخاب الطبيعي وتقوم النظرية التطورية الحديثة على أفكار رئيسية كان لها بالغ الأثر على الفلسفة وبعض المفاهيم الفلسفية، و تمخض عن ذلك وجود تصارع و تصادم مع الأخلاق والدين.

كما غيرت في النظرة الفلسفية للكائن الحي عموما و للإنسان خاصة و يمكن تلخيص هذه التأثيرات على النحو التالي:

التشكيك في المكانة التي كانت للإنسان، فبعد أن كان الإنسان محورا للوجود و كانت الطبيعة في خدمة الإنسان منذ فرانسيس بيكونFrancis Bacon(1561-1626) وديكارتRené Descartes(1596-1650) حيث كان الإنسان سيدا على الطبيعة أصبح شيئا من عناصرها المادية، و بهذا فقدَ موقعه

المميز بوصفه " تتويجا للخلق". ومنذ صدور كتاب داروين (أصل الأنواع) 1859 ، أصبح التطور الإنساني جزءا من التطور الطبيعي.

و تقوم هذه النظرية على مسلمة مفادها أنه لا وجود لنوع يبقى إلى الأبد دون أن يطاله التغيّر ، فقد أظهرت العلوم الطبيعية ميلا إلى رفض الفلسفة الماهوية، أي الفلسفة التي تقبل وجود ماهيات ثابتة. فقد تم التخلي في علم الأحياء عن تصور أنواع حيوانية أو نباتية مثالية. فالنوع يعني مجموعة من السكان الطبيعيين تتوالد وتتكاثر فيما بينها.

كما قامت النظرية التطورية على اعتبار القوانين التي تتحكم في التطور ليست قوانين موضوعة سلفا، بل أن للسيرورات التطورية قوانين تتطور معهاتتحكم فيها عناصر بيئية. وبالتالي يرفض علم الأحياء فكرة "التحديد الكلي". ففي التطور لا شيء يخطط سلفا وبدقة. لا تبعا لترابط سببي ولا لغائية كاملة."[1]

إن التطور في مجال الدراسة الكيميائية والفيزيائية للكائن الحي، قاد إلى قبول فكرة أن التطور البيولوجيBiologie moléculaire و البيولوجيا الجزيئيةGénétiqu حالة خاصة للتطور الكوني. ومن هنا تصبح القطيعة بين مادة حية ومادة جامدة، قطيعة نسبية فقد سعى كلود بيرنارد Claude Bernard (1813-1878) إلى الربط بين العضويات الحية و العناصر الفيزيائية و الكيميائية حيث نظر إلى العضوية الحية نظرة فيزيائية وكيميائية، حيث لا تكون الوظائف الحيوية سوى عمليات فيزيائية وتفاعلات كيميائية وذلك أن العناصر المكونة للكائن الحي هي نفسها التي تتشكل منها عناصر الطبيعة (الحديد،البوتاسيوم، الكالسيوم، المغنيزيوم...) وإذا كانت هذه العناصر الجامدة موضوعا للتجربة المخبرية فالعضويات الحية تخضع لنفس المنهج. و من أهم انجازات كلود بيرنارد في ميدان علم الأحياء انطلاقا من هذه المسلمة :

- فهم دور عصارة البنكرياس في هضم الدهون.
- فهم دور الكبد في إفراز الغلوكوز
- توضيح إمكانية حث مرض السكري عبر إزالة مناطق من الدماغ
- فهم النظام الحراري للجسم
- اكتشاف الغليكوجين

[1] ناهد البقصمي، الهندسة الوراثية و الأخلاق، ص63-65

- دور أحادي أكسيد الكربون في اختناق الخلايا
- دور النهايات العصبية في انقباض الخلايا
- اكتشاف الاستتباب

إن التطور الحاصل في مجال علوم الحياة، امتد تأثيره إلى الأنثروبولوجيا مع هايكل E. Haeckel. فمقارنة الإنسان مع الحيوان أظهرت بعض الخصائص البيولوجية عند الإنسان، غير متوفرة لدى الحيوان و تظهر هذه الاختلافات فيما يلي:

"تطور جيني مختصر: لا يولد الكائن الإنساني مكتملا بل يخضع لنوع من القولبة قد لا تكون طبيعية بل ثقافية.

عدد كبير من النقائص: نقص الإنسان في سلاحه البيولوجي (أسنان، مخالب، السرعة في الحركة...الخ)، دفعه إلى اللجوء إلى مساعد ثقافي.

تقليص الغرائز: خلافا للحيوان، لا يمكن تحديد الإنسان بغرائزه، فإذا كانت الغريزة قد أتاحت للحيوان الاندماج مع محيطه. فإن الإنسان مفتوح على العالم [1]

و قد دعم هانكل دراسات داروين في النظرية التطورية و دعا إلى دراسة الطبيعة دراسة علمية بعيدا عن التفسيرات الميتافيزيقية و لواحقها الدينية يقول: " أين يبدأ الدين ينتهي العلم" فلا بد أن تكون هناك قطيعة عند هانكل بين المعتقدات الدينية التي موضوعها الإيمان و الأبحاث العلمية التي موضوعها الطبيعة.

و بالموازاة مع الحربين العالميتين الأولى و الثانية قامت الثورة البيولوجية على أنقاض الركود الذي عرفه العالم الغربي في العصر الحديث و كتتويج لأبحاث لامارك و داروين و كونزمان و هانكل و غيرهم حدث التغير الرهيب في الطب بفروعه و الصيدلة بأنواعها خاصة بعد اكتشاف ADN في القرن العشرين الذي أدى إلى ظهور البيولوجيا الجزئية و هي نشاط علمي يهدف إلى التفسير العلمي لخصائص الكائنات الحية من خلال البنية والمميزات الخاصة للجزيئات البيولوجية و الذي انعكست نتائجه على علم الوراثة وفي القرن الواحد و العشرين فجرت الشركات البيوتكنلوجية التي تأسست في جنيف الثورة البيولوجية مثل شركة البيوجين .Biotechnologie أو تكنولوجيا الجينات بعد اثني عشرة سنة من

[1] بيتر كونزمان، أطلس الفلسفة، ترجمة، جورج كتورة، المكتبة الشرقية، لبنان، الطبعة الأولى، 2001 ،.ص 189-191

البحث والتجريب ولدت أول طفلة أنابيب Genetech 1978 في إنجلترا، مباشرة بعدها ولد ستة أطفال أنابيب ...

و بهذا أصبح مجال البيولوجيا مجالا واسعا، بحكم تعدد موضوعاتها حيث أنها تضمنت كل العلوم التي تهتم بدراسة الكائن الحي بما في ذلك الإنسان. فهي علم يبحث في أشكال الحياة في Paléontologie الحيوان والنبات، وعلم البيئة، وعلم الإحاثة (العصور الجيولوجية)، والفيزيولوجيا، وعلم الأجنة، وعلم الوراثة، وغيرها، ولعل من المفاهيم التي تعبر أكثر عن مفهوم البيولوجيا، نجد مصطلح البيولوجيا العامة Biologie Généraleالتي تُعنى بدراسة ظواهر الحياة المشتركة بين النبات والحيوان. إنها باختصار تدرس المادة الحية، أصلها، تركيبها، خصائصها. وتؤكد على الظواهر الأساسية التي تتحكم في الحياة. بالإضافة إلى علم الأجنة، والتكاثر، والوراثة، Cellulaire Biologie بفروعها، و البيولوجيا الخلوية والتطور.

فما هي إفرازات هذه الثورة البيولوجية و ماهي مآلاتها على الجنس البشري ؟

المشاكل التي تطرحها البيو تكنلوجيا على الجنس البشري :

بقدر ما حققت البيولوجيا من نتائج فسحت المجال أمام البحث العلمي على نطاق لا تحده حدود بقدر ما شكل الطموح اللامتناهي في السيطرة العلمية على الكائنات الحية و أخصها الإنسان عدة استفهامات تصب في مساءلة البيولوجيا عن مصير الإنسان و الجنس البشري في ظل الشغف و الجشع العلمي في اختراق خصوصية الإنسان و أعضائه و هويته ومكانته أمام هذا التطور الرهيب و هو سؤال فلسفة الأخلاق للعلم فبعد أن كان هدف العلم تحسين السلالات النباتية و الحيوانية لتحقيق الوفرة بدلا من الندرة والنوعية بدلا من الكمية و دراسة الانسان بغرض توفير العلاج و التخلص من الأمراض سيتحول سيكون الانسان موضوعا للعلم و يكون جسده هو الرهان الذي يلحقه التغيير.

و لما كانت الفلسفة تعبير عن روح العصر كان لزاما عليها أن تترجم الوعي الحاصل من التغيرات الحاصلة على مختلف الأصعدة البيولوجية عبرت عن الجانب الأخلاقي للممارسات البيوطبية المعاصرة التي شكلت هاجسا أمام مصير الجنس البشري " فالفيلسوف اليوم مطالب بإلحاح أن يلج جميع ميادين

ومجالات العلوم و التقنية ، و أن يعالج المشكلات الأخلاقية و الأنطولوجية التي تطرح عليه خلال سيرورتها و تقدمها المتسارع " [1]

و من أهم الإشكاليات البيوتيقية المعاصرة:

مشكلة الاستنساخ

الاستنساخ هو عملية يتم فيها إنتاج نسخة مطابقة جينيا مع خلية أو نسيج أو كائن حي، و يطلق على النسخة الجديدة مصطلح مُستنسخ و تقوم هذه العملية عبر مراحل :

ففي المرحلة الأولى يتم أخذ خلايا جسمية توضع في أطباق زجاجية حتى تصبح أنويتها صالحة لتوجيه عملية التكوين الجيني و في المرحلة الثانية تؤخذ بويضة و تنزع نواتها الحاملة للمورثات ثم تدمج نواة الخلية الجسمية مع البويضة من خلال شحنات كهربائية و تكون بمثابة إخصاب، و بهذا توضع البويضة المخصبة في قناة البيض لمدة ستة أيام حتى يتم الانقسام الخلوي التضاعفي لتنقل في الأخير الأجنة وتغرس في أرحام حيوانات بديلة حيث تستكمل نموها حتى الولادة، فالاستنساخ يعني إمكانية الحصول على نسل دون الحاجة إلى العلاقة الجنسية المعروفة أو الحاجة إلى ذكر يقوم بعملية التلقيح، في عام 1996 نجحت أول عملية استنساخ في سكوتلاندا و كانت ولادة النعجة دوللي ، وفي عام 1997 نجحت هاواي الأمريكية في استنساخ 22 فأرا، وفي 1998 نجحت اليابان في استنساخ ثمانية عجول ، ليكون الاستنساخ البشري مطروحا بشدة و هذا ما يطرح عدة مشاكل منها :

- أنه يهدد علاقات الزواج حيث أن الاستنساخ لا يحتاج إلى الحيوانات المنوية الذكرية و ما ينجر عن ذلك الحرمان من عواطف الأبوة و مؤسسة الأسرة بما تحمله من مودة و رحمة و عواطف وتربية ويشجع على الانحرافات الأخلاقية بإهمال الغرائز البيولوجية .
- المتاجرة بالجنس البشري و السعي إلى تحقيق الأرباح من خلال إنتاج سلالات معدلة جينيا لأداء وظائف محددة (استنساخ العباقرة و العلماء ، الرياضيين الفنانين و المشاهير و الجيوش...)تبعا

[1] رشيد دحدوح ، ابستمولوجيا العلوم الطبية و البيولوجية عند جورج كانغيلام ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، ط1: 2013 ، ص540

لقانون العرض و الطلب. هذا من جهة و من جهة ثانية يحتاج الاستنساخ إلى عدد كبير من البويضات مما يؤدي إلى استنزاف رصيد البويضات من النساء اللواتي يتم التجريب عليهن وهذا ما يدخلهن في اليأس المبكر نتيجة لأغراض تجارية.

- الخلية التي تؤخذ منها النواة بغرض الاستنساخ خلية ناضجة و مكتملة النمو لتليها مرحلة الشيخوخة والتلف لتعوض بخلية جديدة في الجسد الأصلي، الأمر الذي ينعكس على هرم وشيخوخة النواة و بهذا يصل الكائن المستنسخ إلى مرحلة الشيخوخة في سن مبكرة ، و هذا ما حدث للنعجة دوللي التي هرمت في سن مبكرة و أصيبت بمرض هشاشة العظام " الشيخوخة المبكرة للمستنسخ ، و ارتفاع معدل كهولته وهو في عمر الميلاد ، كذلك احتمال حدوث سرطان له ، الاستنساخ ينطوي على انتهاك للكرامة الإنسانية " [1]

– من الناحية الجنائية يفتح الاستنساخ الباب أمام الجريمة و الجريمة المنظمة في ظل وجود تطابق جيني و ظاهري ، أين يطرح مشكل على من تقع المسؤولية الجنائية .

–إن الكائن المستنسخ يولد بغير أب وهنا يثار مشكل النسب و الميراث و الحقوق الاجتماعية هذا فضلا عن النظرة الاجتماعية للإنسان المستنسخ التي تعتبره مواطن من الدرجة الثانية .

– الكائنات المستنسخة تتعرض للكثير من الأمراض و الضعف و التشوهات نتيجة لضعف الجهاز المناعي، كما أن الحصول على كائنات مستنسخة يقتضي التجريب على عدد كبير جدا من البويضات للحصول على أجنة فالنعجة دوللي نجح استنساخها من بين 277 جنينا أي بنسبة 1 من 277

الاستنساخ العلاجي و تدمير الأجنة:

الاستنساخ الباثولوجي الذي يهدف إلى توفير العلاج من خلال الخلايا الجذعية هو نوع من الإجرام حيث أنه يتطلب تدمير الجنين بالمختبر لأخذ خلاياه الجذعية لذا فاستنساخ أجنة من أجل انتزاع خلاياها الجذعية فقط يعد شكلا من أشكال الوحشية التكنولوجية، فهذه النسخ الجينية بالغة الصغر ترجع قيمتها

[1] عادل عوض ، الاصول الفلسفية لأخلاقيات الطب ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، 2011 ، ص165

إلى خلاياها الجذعية اللازمة من أجل تقديم العلاج للآخرين على أن يتم التخلص منها فيما بعد و في هذا انتهاك سافر للمبدأ الكانطي الذي يدعو إلى احترام الإنسان كغاية في حد ذاته، فالجنين مشروع إنسان و ليس مجرد مجموعة من الخلايا التي تقابل العقاقير الطبية.

و قد ظهرت في الدول الغربية و الهند بنوك للمتاجرة بالبويضات و الحيوانات المنوية يحدد أسعارها قانون العرض و الطلب كأي سلعة أو بضاعة، هذا عن الجنين، أما عن المريض الذي تنقل إليه هذه الخلايا فقد أكد بعض العلماء على وجود تشابه بين هذه الخلايا و الخلايا السرطانية حيث أنه بعد ستين انقساما خلويا يتجمع بالخلايا الجذعية طفرات كافية لتحويلها إلى خلايا سرطانية أو شبه سرطانية كما تؤدي إلى انقسامات عشوائية تتكاثر بطريقة غير منتظمة و بهذا تشكل خطرا على صحة المريض .

استفهامات يضعها التخصيب الاصطناعي :

قبل الحديث عن التلقيح الاصطناعي ينبغي أن نتعرف على الحالات التي يكون فيها هذا النوع من التخصيب ،أولاها أن تؤخذ نطفة من الزوج و بويضة من الزوجة و يتم التلقيح خارجيا ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة أو تلقيح بيضة الزوجة و هي داخل الرحم بنطفة الزوج بطريقة علمية دون تدخل طرف ثالث فهذه الطريقة مباحة ولا حرج فيها شريطة الحيطة و الحذر من اختلاط الأنابيب أما عن الطرق غير المشروعة فقد حددها مجمع الفقه الإسلامي في التالي " أن يجري تلقيح بين نطفة مأخوذة من زوج وبيضة مأخوذة من امرأة ليست زوجته ثم تزرع اللقيحة في رحم زوجته ، أن يجري التلقيح بين نطفة رجل غير الزوج و بيضة الزوجة ثم تزرع تلك اللقيحة في رحم الزوجة ، أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي زوجين ثم تزرع اللقيحة في رحم امرأة متطوعة بحملها، أن يجري تلقيح خارجي ببذرتي رجل أجنبي وبيضة امرأة أجنبية و تزرع البيضة في رحم الزوجة ، أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي زوجين ثم تزرع اللقيحة في رحم زوجة أخرى " [1]

[1] على محي الدين القره واعي ، على يوسف المحمدي ، فقه القضايا الطبية المعاصرة ، "دراسة فقهية طبية مقارنة " شركة دار البشائر الإسلامية ، ط2 بيروت ، ص 589

إن الحالات التي حرمها الفقه الإسلامي كانت بسبب تدخل طرف ثالث متبرع بالمني أو الرحم أو البيضة مما يطرح مشكل الهوية عند الطفل و حقه في التعرف على والديه البيولوجيين بالإضافة إلى بنوك المني و ما تطرحه من مشاكل المتاجرة بعناصر الجسم خاصة بعد الترويج لما عرف ببنوك مني العباقرة، أو التخلص من البيضات أو المني الفائض بل حتى الأجنة الإضافية ، و إنتاج أجنة بشرية خاصة بالبحث العلمي مما يجعل الكائن البشري حيوان تجريبي في المختبر و هذا ما يتنافى و كرامة الإنسان ،و تجدر بنا الإشارة الى أن الكثير من الدول مثل الولايات المتحدة الامريكية و الهند و الصين تلجأ الى هذه الممارسات.

كراء الأرحام و كرامة الإنسان:

هذا فضلا عن كراء الأرحام الذي يقضي على عاطفة الأمومة و استغلال الأرحام في أغراض تجارية، و هو ما لا يختلف عن المتاجرة بالأعضاء و هنا تطرح عدة استفهامات عن الجانب السيكولوجي للطفل بعد انفصاله عن الأم الحاضنة، و مدى تقبل الأم البيولوجية لهذا الطفل و قدرة الحاضنة على التخلي على الجنين بعد الوضع، والإجهاد الجسدي و النفسي للحاضنة في حالة الحمل بأكثر من جنين (في حالة زرع أكثر من بيضة ملقحة) وهذا يعني تشيئ المرأة الحاضنة و إمكانية ابتزازها المادي للزوجين قبل أو بعد الوضع أو ابتزاز المتطوع بالمني أو البيضة، و هنا يصبح كراء الأرحام تجارة مربحة فقد أكدت وسائل الإعلام وجود المئات من العيادات الطبية المخصصة لبيع البويضات و الحيوانات المنوية و استئجار الأرحام في الهند نتيجة لتدهور المستوى المعيشي واستغلال النساء في عملية الإنجاب مقابل ثمن يتم الاتفاق عليه مع العيادة و التي بدورها تحقق أرباحا خيالية لا تنال منها الأمهات البديلات إلا القليل في ظل سكوت السلطة التي لم تتمكن من وضع حد لهذه الممارسات اللاأخلاقية.

فاللجوء إلى كراء الأرحام عادة ما يرتبط بالأمراض و المشاكل الصحية للزوجين لذلك يضطرون إلى هذه العملية، أو شراء حيوانات منوية أو بويضات من بنوك خاصة للحصول على الجنين، إلا أن بعض النساء يلجأن لاستئجار الأرحام تجنبا لمشقة الحمل و الولادة و المحافظة على أناقتهن و هذا يعني قتل عواطف الأمومة و الأبوة و التي تحدث شرخا في النمو النفسي للطفل الذي ارتبط عاطفيا بالأم البديلة خاصة بعد صدمة الميلاد ، كما يلجأ الكثير من المثليين إلى كراء الرحم لذات الغرض و إشباع غرائز الأمومة أو الأبوة التي حرموا أنفسهم منها " مشاهير لجأوا لتأجير الأرحام ..منهم "نيكول كيدمان" و " كرستيانو رونالدو"... رغم الجدل المثار حول عمليات تأجير الأرحام و تضارب الأحكام القانونية لإجرائها

في العالم الغربي ، إلا أن الكثير من المشاهير لجأوا إليها للحصول على أطفال ، بعضهم على عكس المتوقع كان لديه أطفال بالفعل ، و البعض الآخر وجدها حلا للحصول على أطفال رغم أنهم زوج من المثليين جنسيا ...

كما أن هذه التقنية كثيرا ما تؤدي إلى نفاذ مخزون البويضات عند الأم البيولوجية نتيجة لتفجير البويضات المتتالي و بالتالي دخول الزوجة سن اليأس في سن مبكرة أو الإصابة بسرطان المبيض و السكتة القلبية، و هنا تصبح المرأة مصنعا لإنتاج البويضات، أين يتحول الإنجاب إلى شكل من أشكال العبثية التي لا تحكمها ضوابط ولا تحدها حدود، هذه الطرق اللاأخلاقية في الممارسات الطبية قوبلت بالرفض من الناحية الدينية و الأخلاقية والسياسية و الاجتماعية و نظرا لذلك " تم طرد علماء بارزين من بلادهم لممارسة تجارب لا أخلاقية مثل جاك كوهلين الذي طردته أمريكا بعد أن ثبت تلاعبه بإعطاء أجنة لسيدات من سيدات أخريات دون علمهن ..." [1]

سؤال قيمة الحياة أمام الموت الرحيم

كثيرا ما يطرح عنصر الحياة عند الإنسان مشكلات طبية يقف العلم عاجزا أمامه فغاية الطب هي المحافظة على الحياة.

لكن ماذا لو مات الدماغ و بقى الإنسان حيا من خلال ربطه بجهاز التنفس الاصطناعي فهل موت الدماغ هو المعيار الأساسي الذي به يتم تقرير وفاة الشخص و أي جزء من الدماغ ينبغي أن يتوقف للحكم على ذلك ؟ و ماذا عن حالة الغيبوبة طويلة الأمد التي وصلت إلى مرحلة اللارجوع ؟ وما مدى قيمة الوسائل الداعمة في هذه الحالات ؟ و هل الرحمة الحقيقية ترتبط بالحفاظ على الوظائف الحيوية للجسد بغض النظر عن الوعي و الإحساس و التفاعل مع العالم ؟

[1] صبري الدمرداش ، الاستنساخ قنبلة العصر ، مكتبة العبيكان ،ط2 2001 الرياض ، ص74.

هذه الأسئلة و غيرها شكلت مبررا و ذريعة للجوء إلى الموت الرحيم في الكثير من دول العالم غير أنها لم تتوقف عند هذا الحد بل انطوت على حالات أخرى مثل مرض السيدا و السرطان أو نظرا للشيخوخة والأمراض المصاحبة لها أو الأمراض النفسية و ما يلحق عنها من وساوس قهرية و اكتئاب حاد، و التي تجعل الحياة المستقرة في الوسط الاجتماعي أو حتى الشخصي يبدو مستحيلا ،جعلت من فكرة الموت الرحيم كبديل عن فكرة الألم أو الانتحار الذي قد يتسبب في إعاقات تؤدي إلى تفاقم المشكلة، حيث أن هذه الشرائح الاجتماعية تلح على وضع حد لحياتها بطريقة علمية تضمن الموت الرحيم أو فيما أصبح يعرف " بالحق في الموت بكرامة "وهنا يطرح مشكل حق الفرد في وضع حد لحياته بطريقة قانونية، حيث يصبح الموت أسهل طريق للهروب من الواقع فبدلا من البحث عن حلول نلجأ إلى الطريق المختصر والذي يعني نهاية البشرية، فغرض الطب هو المساعدة على تحقيق حياة أفضل و إعطاء الأمل في الحياة و ليس وضع حد للحياة بحجة الألم، فالموت الرحيم يعني حرمان الإنسان من حقه في مواجهة الألم و الشفاء و هذا يعني التملص من المسؤولية تجاه المريض، فبدلا من قتل الألم بالأدوية والعقاقير الطبية يتم قتل المريض، و التساهل في هذه الممارسة يقضي على وجود فاصل بين الحياة والموت عند عامة الناس حيث يكون الملاذ الأول الذي يتجه إليه الإنسان في حالات الإحباط أو الفشل أو المشاكل وهذا يخالف الغاية التي وجد من أجلها الطب .

علاقة الفلسفة القانون : يمثل القانون روح العصر الذي يعبر عن فلسفته المجتمع وتعتبر قوانين حمورابي التي كانت في حضارة مابين النهرين أو العراق في 1790 ق.م والتي تتضمن 282 بند لتنظيم الحياة الاجتماعية في مختلف مجالات الحياة دليل على ارتباط القانون بالفلسفة خاصة أن الأسس التي تبنى عليها القوانين أسس فلسفية وهي الأساس الأخلاقي الذي يعبر عن معتقدات والقوالب السلوكية للمجتمع والأساس المنطقي الذي يستند على قوانين الفكر الصحيح .

كما يعتبر كتاب الجمهورية وكتاب " في السياسة" لأرسطو وكتاب مدينة الله للقديس أغسطين وكتاب أراء أهل المدينة الفاضلة للفرابي وكتاب " الأمير" لميكيافلي وكتاب "روح الشرائع" لمونتيسكيو وكتاب " في العقد الاجتماعي" لجان جاك روسو وكتاب "مشروع للسلام الدائم" دليل على علاقة الفلسفة بالسياسة و القانون حيث يعتبر هذا الكتاب الأخير بمثابة المنبت للمبادئ الأربعة عشر للرئيس الأمريكي ولسن لحفظ الأمن والسلم الدوليين ومبادئ عصبة الأمم المتحدة وهيئة الأمم. كما انعكس التفكير الفلسفي للفيلسوف الثائر نيتشه وشوبنهاور على السياسة الألمانية التي انتهجها هتلر في الحرب العالمية الثانية .

علاقة الفلسفة بالاقتصاد : تشكل الفلسفة الإطار النظري للممارسات الاقتصادية ومدى ارتباطها بالجانب الأخلاقي والقانوني والاجتماعي وطرق اكتساب الثروة ونوعية النظام الاقتصادي الذي ينبغي اعتماده والعيوب التي تنطوي عليها كل ممارسة.

وتعتبر فلسفة العصر وطبيعة الوعي من أهم المسائل المؤثرة في طبيعة النظام الاقتصادي وهذا ما يظهر في النظام الإقطاعي الذي كرسه رجال الدين في العالم الغربي والذي عبر عن الخطيئة الأولى وفكرة الخلاص لذلك ساد نوع من التفاؤل الساذج عند العامة بتحمل صعاب الحياة والرضا بالجزء اليسير من أسباب الحياة لذلك انقسم المجتمع إلى العمال الكادحين الذين يمثلون العامة والأرستقراطيين ويمثلون قادة الجيش والنبلاء ورجال الدين، وامتدت هذه الممارسة لمدة قرون من الزمن إلى غاية القرن الثامن عشر حيث قام فلاسفة الأنوار بكشف عيوب هذا النظام وظهور طبقة من الرأسماليون الصغار الذين كونوا ثروة بعيدا عن الزراعة من خلال انشغالهم بالصناعات اليدوية والتجارة ودعوتهم إلى تحرير الاقتصاد من سلطة رجال الدين مما أدى إلى ظهور الثورة الصناعية بعد الثورة الفرنسية في 1789 والتي حملت شعار الحرية والأخوة والمساواة، و الذي مهد لظهور النظام الرأسمالي و لا يخفى علينا تجذّر العلوم الاقتصادية في الفلسفة الأخلاقية. فقد كان آدم سميث أستاذًا للفلسفة الأخلاقية و كتابُه *نظرية المشاعر الأخلاقية* يبقى واحدًا من "كلاسيكيات" الميدان. لم يكُن هنالك ببساطة –كما في الميادين المتخصصة الأخرى– "استقلالٌ" للاقتصاد انطلاقًا من الجذع المُشترك للفلسفة بالمعنى العام فقد ربط آدم سميث بين الفلسفة و الاقتصاد و سعى إلى فصل الجانب الاخلاقي عن الجانب الاقتصادي في كتابه "بحث في ثروة الأمم و أسبابها " غير أن النظام الرأسمالي الذي جاء كرد على النظام الإقطاعي فقد انطوى على جملة من التناقضات والتي كشفها كارل ماركس في كتابه " رأس المال " وهذا ما أدى إلى ظهور الثورة البلشفية في 1917 كنتيجة للتعسف الرأسمالي، لينقسم العالم إلى غربي رأسمالي وشرقي اشتراكي بعد الحرب العالمية الثانية، وهذا يظهر تأثير الفكر على الاقتصاد .

وقد تحدث أرسطو عن من وجهة نظره عن الاقتصاد وكان يفضل الملكية الفردية,النظرية القائلة بأن المال يستمد قيمته من القوة الشرائية للسلعة وانه ليس سوى "أداة" أي لا يعدو كونه وسيلة تبادل.

وجاء ابن خلدون في في القرن االخامس عشر من التاريخ الاسلامي كتب في كتابه المعروف "مقدمة ابن خلدون" حول الاقتصاد والفائض الاقتصادي والسياسات الاقتصادية ..وقد استجيب له اليوم في التركيز على التطوير من أجل زيادة الفائض الاقتصادي وتحويل هذه الموارد للتنمية البشرية والتعليم ,وقال انه

يعارض فكرة فرض الضرائب والرسوم الجمركية على الانشطة التجارية التي تشجع على الإنتاج والتقدم وهذا يسمى تنمية اقتصاد العرض بالانفاق.

علاقة الفلسفة بعلم النفس : إن موضوع الفلسفة هو الإنسان وموضوع علم النفس هو الإنسان أيضا، لذلك اشتغل الفلاسفة بالنفس وخصائصها و مصيرها وبنيتها منذ القدم فسقراط دعا إلى معرفة الذات حيث يقول: "اعرف نفسك بنفسك" وقسم أفلاطون النفس إلى ثلاثة قوى وهي القوة العاقلة والغضبية والشهوانية، هو التقسيم الذي نجده في الفلسفة الإسلامية عند أبو حامد الغزالي والذي يقسمها إلى النفس المطمئنة واللوامة والأمارة بالسوء .

وهذا ما نجده أيضا في التحليل النفسي عن فرويد الذي يميز بين ثلاث مستويات وهي الأنا الأعلى والأنا والهو وهذا يوضح العلاقة بين الفلسفة وعلم النفس بالإضافة إلى أن المدارس النفسية الحديثة مثل الجشطالتية والظواهرية وغيرها نشأت في ظل الفلسفة .

و يعتبر علم النفس مجموعة من الدراسات العلمية المنظمة التي تهدف إلى تفسير السلوك البشري وشخصيات الأفراد للتوصل إلى فهم دوافع السلوك، وتفسيرها والتنبؤ بها، والتحكم فيها، ولعلم النفس ميادين متعددة منها:

علم النفس التجريبي: هو أحد أهم ميادين علم النفس، ويشير إلى العمليات الحركية والادراكية للأفراد، كعمليات الادراك البصري.

علم النفس الفزيولوجي: يسعى هذا الميدان إلى دراسة العلاقة بين سلوك الأفراد، والعمليات الفسيولوجية مثل دراسة الهيستيريا و الامراض السيكوسوماتية التي يقترن فيها سلوك الانسان بالجانب الفيزيولوجي و العكس.

علم نفس النمو: يهتم بدراسة مراحل نمو الفرد منذ أن كان جنينا في رحم أمه متتبعا مختلف مراحل نموه و دراسة السمات الشخصية و النفسية و العضوية لكل مرحلة ومن أهم علماء النفس في هذا المجال جون بياجي .

علم النفس الاجتماعي: يشير مفهوم علم النفس الاجتماعي إلى دراسة التأثيرات المتبادلة بين الفرد والجماعة و علاقة الجماعات مع بعضها البعض من الناحية الدينية والثقافية والاجتماعية والتطورات المرتبطة بها و التأثيرات الحاصلة بينها .

علم النفس التربوي: يهتم هذا الميدان بالتحصيل الأكاديمي للأفراد و التطرق للنظريات التربوية والتي في مجملها نظريات فلسفة المنطلق مثل التربية الطبيعية عند جان جاك روسو من خلال كتابه " إميل".

علم النفس الصناعي: يرتكز هذا الميدان بشكل أساسي على استخدام علم النفس في علاج المشكلات التي تتعلق بالأفراد داخل مجال العمل،و دور الحوافز المادية و النفسية و الشروط الفيزيقية في ذلك، بهدف رفع إنتاجيتهم لاحقاً.

العلاقة بين علم النفس والفلسفة تشترك الفلسفة مع علم النفس بكونهما يحاولان الغوص في أعماق الإنسان وأسراره، ويظهر هذا التشارك جلياً بمحاولة كلاهما الإجابة على تساؤل من أنا؟ وربط الإنسان بمحيطه، فبالنسبة للفلسفة وعلم النفس لا يمكن فصل الإنسان عن بيئته، ولا يمكن فهم أفكاره وسماته بعيداً عن الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه، ومن ناحية أخرى فعلم النفس ما هو إلا علم مشتق من الفلسفة، فحتى المنادين بأهمية جعل علم النفس علماً قائماً بذاته كانوا من الفلاسفة.

علاقة الفلسفة بعلم الاجتماع : لقد نشأ علم الاجتماع في ظل النظريات الفلسفية فالنظرية الوضعية نشأت في ظل التطورات العلمية الحاصلة في الفيزياء خاصة فيزياء نيوتن وما حملته من مفاهيم فيزيائية تستند على أسس فلسفية مثل السببية و الحتمية،

والنظرية الصراعية التي عبر عنها كارل ماركس تعبير عن الصراع الطبقي الذي عرفه الإنسان عبر التاريخ وعن علاقة هذا الصراع بالجانب الفكري و الديني.

كما عبرت النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت عن العقلانية الأداتية التي أفرزتها الرأسمالية المتوحشة انطلاقا من تحليلات الفلاسفة لأزمة الإنسان المعاصر مستغلة مفهوم النقد الفلسفي للواقع الاجتماعي بغرض كشفه و البحث عن الآليات الكفيلة بتغييره . كما استند إميل دوركايم على مفاهيم

فلسفية في تحليلاته السوسيولوجية مؤكدا عن العلاقة الوثيقة بينهما ، حيث كانت مقاربته السوسيولوجية مقاربة أخلاقية .

أسئلة حول المحاضرة :

ما علاقة الفلسفة بالعلم ؟

و هل شكلت ركيزة و منطلقا حاسما في تطور العلم أم أنها كانت بمثابة حائلا يحول دون تطوره؟

وضح تأثير الفلسفة على العلوم الاجتماعية

هل استطاع العلم أن يتخلص من التحليلات الفلسفية ؟

هل تمكنت الفلسفة من مسايرة التطورات العلمية الحاصلة أم أنها اتخذت الرجعية سبيلا لها في طرح قضاياها ؟ علل إجابتك بشواهد

المحاضرة الثامنة

الدوغمائية و الشكية

مباحث الفلسفة

مبحث الوجودOntologie وفيه تهتم الفلسفة بالبحث في طبيعة الوجود، وفي خصائصه العامة قصد وضع نظرية في طبيعة العالم.

مبحث المعرفة: Epistémologie وفيه تبحث الفلسفة في إمكان المعرفة بالوجود، وحدود هذه المعرفة وطبيعتها وأدواتها، وهل هي احتمالية أم يقينية؟ وكيف وصلت إلينا معارفنا ومعلوماتنا عن هذا الكون وأشيائه وأشخاصه وظواهره وحوادثه ؟ وهل معلوماتنا هذه يقينية أم احتمالية ؟

مبحث القيم:Axiologie وفيه تهتم الفلسفة بالمثل العليا والقيم المطلقة مثل الحق والخير والجمال لمعرفة ما إذا كانت هذه القيم مجرد معانٍ في العقل؟ أم لها وجود مستقل عن هذا العقل الذي يدركها، وهذا ما تهتم به فلسفة الأخلاق وفلسفة الفن.

مبحث الإبستومولوجيا:

إمكانية المعرفة بين الدوغمائية و الشكية

مفهوم الدوغمائية : Dogmatisme : " اتجاه يذهب إلى إثبات قيمة العقل وقدرته على المعرفة، وإمكان الوصول إلى اليقين ... والدوغماطيقية ترى أن العلم الإنساني لا يقف عند حد وتؤكد قدرة العقل على المعرفة و الوصول إلى اليقين وقد سادت هذه النزعة عند العقلانيين إبان القرنين السابع والثامن عشر ونحى نحوها التجريبيون الذين أكدوا إمكان المعرفة عن طريق التجربة ، وتقابل الدوغماتيقية مذهب الشك و المذهب النقدي" [1]

[1] إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي ، ص 85

أنواع الدوغمائيات

الدوغمائية الدينية : ويقصد بها الرأي الأوحد الذي لا يقبل النقاش أو المخالفة أو النقد في القضايا الدينية في دين أو طائفة أو مذهب رافضة ماعداها رفضا مطلقا ، حتى إن تبين بالبرهان والحجة خطأ هذه القضايا وهذا ما جسده الكنيسة في أوربا في العصر الوسيط وفقا لشعارها " اعتقد ولا تنتقد " كما نجدها عندها في الإسلام والمسيحية خاصة في قضايا العقيدة، وهذا ما يتسبب في حالة من الجمود الفكري الذي يرفض كل من يخالفه.

الدوغمائية العقلانية : ويقصد بها الإيمان المطلق بقدرة العقل وإمكانياته في البحث في قضايا تتجاوز حدود التجربة، وقدرته على إصدار أحكام على قضايا ميتافيزيقية مثل الله والنفس والعالم والحرية وغيرها و هذا ما نجده في فلسفة ديكارت الذي قدم أدلة على وجود الله وعلى حرية الإنسان ... كما أكد أن الإنسان يولد مزودا فأفكار فطرية كلية وضرورية وصادقة والضامن لصدقها هو الله لأنه هو من وضعها فينا، كما نجدها في فلسفة وولف و ليبنتز* وغيرهم .

الدوغمائية التجريبية: إذا كان العقلانيون قد أصروا على بلوغ اليقين انطلاقا من العقل الخالص، فقد أكد التجريبيون على إمكانية بلوغ اليقين انطلاقا من التجربة الحسية باعتبارها المصدر الأوحد لكل معارفنا، و كل معرفة لا تتأتى عن طريق الحواس ما هي سوى أشباح وظلال وأصنام وهذا ما أكده فرانسيس بيكون الذي أكد أن مصدر اليقين هو ملاحظة والتجربة رافضا أفكار العقل التي كونها بعيدا عن كل سند تجريبي معتبرا إياها مجرد أصنام أو أوثان أو أوهام ينبغي تحطيمها، كما رفض جون لوك وجود أفكار فكرية مؤكدا أن كل معارفنا بعدية و ليست قبلية .

---

* **كرستيان فولف (Christian Wolff)** :فيلسوف و رياضي ، أكبر ممثلي الفلسفة العقلية الألمانية ومن رواد عصر التنوير في ألمانيا ولد في 24-1-1679 و توفي في 9-4-1754 بنى مذهبه على أساس فلسفة ليبنتز التي جعل منها الفلسفة السائدة في عصره مستعينا بأفكار أرسطية و رواقية ومدرسية .

جوتفريد فلهلم فون ليبنتز1646- 1716Gottfried Wilhelm Leibnitz :فيلسوف،ورياضي ومؤرخ و دبلوماسي ألماني تقوم نظريته الفلسفية على الجواهر البسيطة أو المنادات والحقائق الضرورية عنده هي حقائق العقل الخالدة ، أما حقائق الواقع فهي حقائق عرضية وحادثة .

فلا ثقة إلا في الافكار المستمدة من التجربة الحسية المباشرة و تعتبر الوضعية المنطقية من أهم الفلسفات التي عارضت التفكير العقلي المجرد و الميتافيزيقي الذي لا يمكن التحقق من صدقه أو كذبه تجريبيا .

الدوغمائية الساذجة : و يقصد بها الإيمان الجازم بصدق مجموعة من الأفكار التي ترجع إلى التقديس المأثور لجملة من الآراء والمعتقدات الاجتماعية التي لا تقوم على براهين علمية، أو الأفكار التي ترجع إلى التعب الذاتي لفكرة ما مثل تفسير الأمراض بإرجاعها إلى الأرواح الشريرة التي تسكن الجسد أو التوجه للأضرحة و القبول لطلب العون أو الشفاء وتقديم القرابين في ذلك . فهذه الاحكام المسبقة قد عطلت تقدم العلم لقرون من الزمن ، و كثيرا ما تأخذ هذه الافكار الساذجة و المتوارثة شكلا من أشكال التقديس الاجتماعي التي لا يستطيع الفرد أن يعارضها و إلا لقى العقاب المادي أو المعنوي أو كلاهما .و كثيرا ما تأخذ شكل الطقوس و الشعائر و القرابين .

الدوغمائية الإيديولوجية : والتي تتعصب للنظريات والأفكار والتي لا تقبل بأي رأي مخالف لها مثل الإيمان بفصل الأخلاق عن الاقتصاد والملكية الفردية والمنافسة الحرة وعدم تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية عند الرأسماليونو التي مجدها كل من أدم سميث و دافيد ريكاردوا و جون اسورت مل ...، والإيمان بالمساواة والتوزيع العادل للثروة والملكية الجماعية لوسائل الإنتاج عند الاشتراكيون أمثال كارل ماركس و سان سيمون و أنجلز ...، والإيمان بعدم وجود إله عند الملاحدة والإيمان بالتطور عند التطوريين مثل داروين واسبنسر ...

الشكية أو الإرتيابيةScepticisme : مذهب يرى أنه ليس بإمكان العقل أن يصل إلى اليقين أو إلى الحقيقة، وبهذا فهو يقف موقف الشك من قدرات العقل ومن المعارف التي نصل إليها وتسمى أيضا **بالبيرونية** * ويقصد بها الشك المطلق وظهرت منذ الفلسفة اليونانية و ترفض الثقة في أي فكرة، وذلك أن كل المعارف قابلة للشك.

---

* بيرون: يعود ظهور الشك في صيغته الفلسفية تاريخيا إلى المدرسة الشكية أو المدرسة البيرونية (نسبة إلى مؤسسها بيرون **Pyrrhon.** (360–270 ق م) التي اعتقدت أن العقل الإنساني عاجز عن فهم الحقيقة –أي حقيقة الأشياء– الأشياء تظهر مختلفة لأشخاص مختلفين.

الشك عند السوفسطائية: رفضت السفسطائية وجود حقائق أو فضائل أو جمال مطلق ، وقد أكد زعيمهم بروتاغوراس أن الإنسان الفرد هو فقط مقياس كل شيء، و لما كان الأفراد مختلفين في قدراتهم واستعداداتهم وحواسهم ومنطلقاتهم كان هناك اختلاف في الحقائق التي يصلون إليها، لذلك رفضوا أن تكون هناك حقائق ثابتة حتى إن كان مصدرها إله الآلهة زيوس.

الشك عند الغزالي : كان شكه شكا مؤقتا يهدف إلى بلوغ الحقيقة لذلك شكك في آراء الفلاسفة على تعدد نحلهم و مللهم و فرقهم خاصة الفلاسفة الذين تأثروا بالإرث اليوناني مثل ابن سينا والفرابي وانتقدهم بشدة خاصة فيما تعلق بالإلهيات وبلغ به الأمر إلى تكفير بعضهم وهذا كله بسبب الشك الذي أراد من خلاله بلوغ اليقين حيث يقول " قادني الشك إلى اليقين" ويقول: " من لم يشك لم يبصر ومن لم يبصر لم ينظر ومن لم ينظر بقى في العمى والضلال ".

الشك عند ديكارت : لقد قام الفكر الديكارتي على رفض التفكير الكلاسيكي المدرسي وسعى إلى حديث قطيعة مع التفكير التقليدي بوحي من العقل، لذلك انتهج منهج الشك بغرض الوصول إلى اليقين لذلك مر شكه بمرحلتين وهما الهدم و البناء ففي الأولى هدم كل الأسس التي قامت عليها المعرفة بداية من الحواس إلى العقل إلى العالم الخارجي وصولا إلى الله أما في مرحلة البناء فقد أعاد بناء المعرفة على أسس عقلية تقوم على البداهة و الوضوح والتمايز بداية من الكوجيتو الذي اثبت من خلاله وجوده إلى الله باعتباره الضامن لوجوده إلى العالم باعتباره الكافل لهذا الوجود وبعد منهج الشك المنهجي البناء الذي انتهجه ديكارت قدم المنهج الرياضي باعتباره النموذج المثالي الذي ينبغي أن تنتهجه كل العلوم لبلوغ اليقين القائم على (البداهة و التحليلي و التركيب و الإحصاء أو التحقق).

الشك عند ديفيد هيوم David Hume (1711-1776) : أكد هيوم أن كل الأفكار الأصلية في العقل مثل السببية و الحتمية و اطراد الظواهر وغيرها يمكن ردها إلى انطباع أصلي للحس و كل ما نعتقد أنه ضروري وصادق من أفكار العقل ما هو في حقيقته إلا نتاجا للعادة الذهنية وليس حقيقة من حقائق الطبيعة الخارجية.

لذلك شكك في السببية والحتمية والاستقراء والتعميم والقانون والاطراد نظرا لعدم وجود الضامن الذي يضمن تكرار الأحداث الماضية والحاضرة بنفس الآلية في المستقبل ولم يثق إلا في التجربة الآنية باعتبارها الضامن لصدق أفكارنا في الحاضر .

أسئلة حول المحاضرة :

هل قامت الفلسفة على الدوغما و الثقة المطلقة أو على الريبية و الشك العام ؟وكيف يمكن حل التعارض بينهما ؟

حدد أنواع الدوغمائيات و وجه الاختلاف بينها ؟

ما يميز الشك عند ديكارت عن الشك عند هيوم ؟

المحاضرة التاسعة

مصادر المعرفة:

المصدر العقلانيLe Rationalisme: يعتقد الفلاسفة العقلانيون بأن كل ما هو موجود فهو مردود إلى مبادئ عقلية ، و هذا مذهب ديكارت و اسبينوزا و فولف وليبنتز وهيجل، ويطلق بوجه خاص على النظرية التي ترجع الحكم إلى الذهن لا إلى الإرادة أو التجربة و تقوم العقلانية على جملة من المسلمات منها:

- القول بأن لكل موجود له علة كافية في وجوده فلا يحدث شيء في العالم إلا و له علّة معقولة.

- كل المعارف تنشأ عن المبادئ العقلية الفطرية الكلية والضرورية التي لا يمكن رفضها دون الوقوع في التناقض مثل الكل أكبر من الكل وإضافة كمية ثابتة لا تغير في تساويهما ... ولا تنشأ من التجربة الحسية الخارجية لأن هذه التجارب لا تقدم لنا علوما كلية وضرورية بل جزئية ومؤقتة .وبهذا المعنى فالعقلانية تقابل التجريبية .

-إن معرفتنا بحقيقة الأمور لا تتوقف على الحواس، بل على نشاط العقل لأن الحواس لا تحقق معرفة مجردة التي يحتاجها التفكير، إن التفكير يقوم على الكليات وهي صور مجردة تدرك بالعقل مثل صورة الإنسان وصورة الحيوان وصورة المعدن ..الخ بينما الحواس لا تدرك إلا الجزئيات، فالعين ترى شخصا بحد ذاته، لكنها لا ترى الإنسان لأنه صورة عقلية مجردة .

-الحواس مصدر غير موثوق، وأحسن دليل على ذلك هو الخداع البصري، فكثيرا ما نسمع صوتا يناديا فنلتفت فلا نجد أحدا، ونرى السراب ونظن أنه حقيقة فكلما ازددنا قرابا ازداد بعدا حتى يختفي ونرى الشمس كقطعة الدينار وهي أكبر من الأرض أضعافا مضاعفة ...

و حتى إحساساتنا الباطنية قد توقعنا في الخطأ فقد أكد ديكارت أنه ليس هناك أشد من إحساس الألم ومع ذلك فقد سمع من بعض الأشخاص الذين بترت أذرعهم أو سيقانهم أنهم لا يزالون يشعرون بالألم في ذلك العضو المبتور على الرغم من عدم وجوده، لذلك قوض كل المعطيات التي تقدمها له الحواس سواء الظاهرة أو الباطنية .

-الحقائق الأولى كالأوليات الرياضية والمنطقية تدرك بالعقل عن طريق الحدس من غير مقدمات، والحدس نور فطري ومعرفة مباشرة ليست مسبوقة بمقدمات،و قد أكد ديكارت أن الإنسان يولد مزودا بجملة من الأفكار الفطرية الكلية والضرورية والصادقة والضامن لصدقها هو الله ولا يمكن رفضها دون الوقوع في التناقض وتتميز بالبداهة والوضوح والتمايز" ... لأن الأمر الذي اتخذته من قبل قاعدة، وهو أن الأشياء التي نتصورها بالغة الوضوح والتمايز صحيحة كلها، فلم أتيقن هذا اليقين إلا لان الله موجود، وأنه موجود كامل وأن كل ما فينا يصدر عنه.

ينتج عن ذلك أن أفكارنا وتصوراتنا لما كانت أشياء حقيقية صادرة عن الله، فهي بما هي واضحة ومتمايزة لا يمكن أن تكون إلا صحيحة "[1]، كما أنها واحدة عند جميع البشر مثل البديهيات المنطقية على نحو الكل أكبر من الجزء والمنطقية على نحو الخطان المتوازيان لا يلتقيان أبدا وإضافة كمية ثابتة إلا متساويان لا تغير في تساويهما.

لذلك شكك ديكارت في كل أفكار عصره و ذلك أنها في مجملها تتعارض مع البداهة العقلية وأراد أن يؤسس معرفة جديدة تقوم على البداهة والوضوح والتمايز، ومر فكره بمرحلتي الهدم والبناء ففي الأولى هدم كل الأسس التي تقوم عليها المعرفة بداية من الحواس وخداعها في تحصيل المعرفة حيث يقول:" الحواس تخدعنا وليس من الحكمة أن نثق في من يخدعنا ولو لمرة واحدة " .

ليشكك في أفكار العقل على اعتبار أنه يعتمد على معطيات الحواس حيث أن أفكارنا العقلية قد سلكت من قبل طريق حواسنا وإذا كانت الحواس تخدعنا فالعقل أيضا يخدعنا .

لشكك فيما بعد في وجود العالم الخارجي والذي تقدمه لنا العقل والحواس المخادعين فما الدليل على وجود هذا العالم فقد يكون مجرد سراب والعقل الحواس يخدعاننا في وجوده ليشكك في الأخير في وجود الله فإذا كان العالم غير موجود وهو المخلوق فما الدليل على وجود الخالق أو الله هذا في مرحلة الهدم .

---

[1] René Descartes, Discoures de la méthode, ENAG éditions, présenté par Omar Mehibel p57-58

ليبتكر ديكارت فكرة الشيطان الماكر الذي يخدعه يجعله يشكك في كل شيء حتى في فكرة وجود الله، وبهذا فقد انتقل إلى مرحلة البناء حيث أنه شكك في كل شيء ما عدا في حقيقة واحدة وهو أنه يشك وإذا كان يشك فهو يفكر وإذا كان يفكر فهو موجود ليصبح وجوده حقيقة واقعية ساقته إليها البداهة العقلية كما ساقته إلى وجود الله باعتباره الضامن لوجوده واستمراره لأنه ليس علة وجود نفسه مقدما مجموعة من الأدلة على وجود الله

لينتقل إلى فكرة وجود العالم الخارجي باعتباره الكافل لوجوده والذي يتوقف وجوده عليه ويصبح وجوده حقيقة أيضا أوصلته إليها البداهة العقلية، ونصل إلى هذا العالم عن طريق الحواس والعقل ليعيد ديكارت بناء ما هدمه من قبل لكن بطرقة عقلية قائمة على الضرورة والبداهة والوضوح .

وقد اعتبر البداهة والوضوح بمثابة وسيلة للتحقق من صدق الأفكار يقول في ذلك أما الحقائق التي لم يرد عنها شيء في التنزيل فليس مما يتفق مع طبع الفيلسوف أن يسلم بصحة شيء لم يتحقق منه ولا أن يركن إلى الثقة بالحواس ..."[1] " لا يجب أن أثق في أي شيء بأنه حق ما لم يتبين لي بالبداهة علنه كذلك "و يقول يقول ديكارت " إن حدس البداهة أوثق من الاستنتاج ذاته "

والبديل عند ديكارت بعد مرحلة الشك هو الاعتماد على المنهج الرياضي، فالرياضيات هي العلم الدقيق الذي ينبغي لكل العلوم أن تنتهج منهجها وذلك لقيام مبادئها على البداهة والوضوح والضرورة ويرتبط هذا المنهج بالخطوات التالية: " البداهة ثم التحليل ثم التركيب ثم الإحصاء أو التحقق "

1- البداهة : اتخذ ديكارت من قاعدة البداهة منطلقا له لبلوغ اليقين أي الابتعاد عن التحيز و التعصب و الدين و الاحتمال و التحرر من كل سلطة تفرض نفسها على العقل سواء كانت دينية أو سياسية أو فلسفية ... حيث يقول في كتابه مقال في المنهج : " لا يجب أن أثق في أي فكرة بأنها صحيحة مالم تتبين لنا بأنها كذلك

[1] رنيه ديكارت، مبادئ الفلسفة، عن عثمان أمين ، رواد المثالية في الفلسفة الغربية ،دار المعارف ،ص47

2- التحليل أي تحليل مشكلة البحث إلى أكبر عدد من الأقسام و حل التعقيد الموجود في أي قسم بتقسيمه الى أبسط منه حتى نصل إلى الأفكار الواضحة بذاتها و ذلك بالانطلاق من المركب إلى البسيط و من الكل الى الجزء .

3- التركيب : نعيد تركيبها من البسيط إلى الأكثر تعقيدا للتأكد من عدم ارتكاب الأخطاء في أي مرحلة من مراحل التحليل .

4- الإحصاء أو التحقق أي القيام بمراجعات شاملة لكل الخطوات و المراحل السابقة لضمان اليقين و عدم السهو .

كما تشير العقلانية عند بعض الفلاسفة على اعتبار وجود العقل شرط ضروري في إمكان التجربة فلا تكون التجربة ممكنة إلا إذا كانت هناك مبادئ عقلية تنظم معطيات الحواس وهذا ما نجده عند أفلاطون من خلال المثل والمقولات القبلية عند كانط والمعاني النظرية عند ديكارت ، فإذا كانت هذه المعاني والمثل شرطا ضروريا وكافيا لحصول المعرفة كانت العقلانية مطلقة و إذا كانت شرطا ضروريا فقط كانت عقلانية نسبية .

أسئلة حول المحاضرة :

هل يعتبر العقل مصدرا كافيا لمعرفة العالم ؟

هل تم تجاوز التفكير المدرسي و وضع القطيعة مع كل ما هو قديم عند العقلانيين ؟

المحاضرة العاشرة

المصدر التجريبي Empirisme: تقوم الفلسفة التجريبية على اعتبار مصدر كل الأفكار هو التجربة الحسية الخارجية التي يخوضها الإنسان مع الوقائع التجريبية تمتد جذور وبواكير التجريبية إلى الفلسفة اليونانية السوفسطائية وبرزت النزعة الحسية عند السوفسطائيين، الذين اعتقدوا بنسبية المعرفة والقيم، كونها مرتبطة في تحصيلها على معطيات الحواس، فنحن لا نعرف إلا ما نحس به، ولكل منا مدركاته وقناعاته المعرفية لأن لكل واحد منا إحساساته الخاصة...يقول بروتاغوراس الإنسان مقياس كل شيء"

غير أنه ليس الإنسان الكلي بالمفهوم المجرد، وإنما الإنسان باعتباره شخص بعينه، و يمكن الحديث عن النزوع التجريبي في الفكر الإسلامي مع جابر بن حيان والحسن بن الهيثم وغيرهما . واكتملت بوضوح معالم التجريبية كمذهب فلسفي متكامل بداية من العصر الحديث، على يد مجموعة من الفلاسفة الأوربيين أمثال فرانسيس بيكون و جون لوك و دافيد هيوم ...

-**المبادئ الكبرى للمذهب التجريبي** :المعرفة حصيلة التجربة الحسية وهي المصدر الفعلي للمعرفة، فكل المنطلقات الفكرية الموجودة في الذّهن، وجملة المبادئ العقلية التي نصل إليها وتصّوراتنا، هي نتاج الخبرة والعادة، إن الذاكرة تخزن وتحفظ الصور والخبرات الحسية السابقة وعلى أساسها تنتظم الأفكار المدركات، وعليه فإن وجود إحساسات غامضة بحاجة إلى فعاليات عقلية معناه أنّها بحاجة إلى خبرات الذاكرة المحفوظة.

ينتج مما سبق التسليم بأن الإنسان يولد صفحة بيضاء، وذهنه خاو من المفاهيم والأفكار القبلية والفطرية، وأن المعارف تكتسب تدريجيا بداية من تشكل المفاهيم الحسية ثم الارتقاء نحو المفاهيم المجردة فالطفل الصغير يبدأ بإدراك المعاني الحسية قبل المجردة، مثل إدراك الألوان والأعداد.. يقول جون لوك " يولد الطفل صفحة بيضاء تنقش عليها التجربة الحسية مال تشاء" ويقول "لا يوجد شيء في العقل إلا وقد سبق وجوده في الحس أولا "

ومبرر التجريبيين أنه لو كانت في الأذهان أفكار فطرية مشتركة، لتساوى الناس في المعارف والعلوم و الواقع يثبت عكس ذلك، كما أن القوانين العلمية نتاج التجارب، وفهم وصياغة قوانينه، والتطور

العلمي يقاس بطبيعة وسائل التجريب، ومعارف الناس تختلف وتتفاوت بالنظر إلى طبيعة المؤهلات والإمكانيات التجريبية المتاحة أمامهم . كما أنه لا سبيل إلى التحقق من صدق أو خطأ أفكارنا العقلية إلا عن طريق التجربة الحسية، الحواس هي الوسيلة الوحيدة التي تربطنا بالعالم الخارجي وبالتالي من يفقد حاسة من الحواس فقد علما من العلوم .

فلسفة فرانسيس بيكون التجريبية Francis Bacon(1561-1626): يعتبر فرانسيس بيكون مؤسسا للمنهج التجريبي أو الاستقرائي فقد رفض المنطق الأرسطي الذي لا يصلح إلا على مستوى الفكر والذي يتميز بالثبات وبالتالي لا يستطيع أن يساير تغيرات العالم المادي، وقد أراد أن يؤسس معرفة جديدة تقوم أساسا على التجربة وتمكن الإنسان من التطور لذلك عوض المنطق الأرسطي بالمنطق الاستقرائي.

فالأفكار الموجودة على مستوى العقل على نوعين فإما أن يكون مستمدة من التجربة أين تكون في مجملها أفكار صادقة أكدت التجربة صدقها وإما أن يكونها العقل بعيدا عن كل سند تجريبي وتكون في مجملها أفكار خاطئة لأن مصدرها غير موثوق وهو العقل ويسمي هذه الأفكار الأخيرة بالأصنام أو الأوثان أو الأوهام التي ينبغي تحطيمها" وهذه الاصنام والمفاهيم الباطلة التي تغلغلت في أعماق العقل البشري لا تحجب الحقيقة عنه وحسب بل تسبب له متاعب ومصاعب كثيرة حتى في حالة وصوله الى الحقيقة، لذلك ينبغي أن يتقي الناس شرها ويتحصنوا ضدها "[1]، وهي:(أصنام الكهف والسوق والمسرح والجنس أو القبيلة)

1- **أصنام الجنس أو القبيلة** : وهي الأخطاء التي تقوم في الطبيعة البشرية و لذلك فهي مشتركة بين مجموعة من الأفراد، ويشبه بيكون العقل البشري بمرآة مزيفة تلتقط الأشعة الضوئية مضطربة فتفسد الأشياء، فليست أفكارنا صورا للأشياء بل صور لأنفسنا كأن نفترض درجة من النظام والاطراد في الأشياء أكثر مما هي عليه على نحو ما هو في فكره لذلك فقد توهم الناس أن الأجرام السماوية تدور في دوائر كاملة لأن الدوائر هي أكمل الأشكال الهندسية، وما يؤكد ذلك أيضا نزوع الإنسان إلى ما يؤكد وجهة نظره من أمثلة و تغافله عما يناقضها .

1

كريم متى، الفلسفة الحديثة، عرض نقدي، بنغازي، منشورات جامعة بنغازي ،1974، ص 41

كما أن العقل البشري لا حدود له فيسقط هذه اللامحدودية على الطبيعة فيتصور أن العالم لا حدود له، وأن سلسلة الأسباب لا نهاية لها، وبهذا فهو يفسر الأسباب تفسيرا غائيا و الغائية ترجع إلى طبيعة الإنسان وليس إلى طبيعة الكون .

2- **أصناف الكهف:** سميت هذه الأخطاء بهذا الاسم لأن كل واحد منا يعيش في كهفه وله تربيته الخاصة ومبادئه وظروفه، فالناس يختلفون فمنهم من يعجب بكل ما هو قديم من فنون وآداب وعلوم ومنهم العكس ومنهم من يهتم بالتحليل و منهم من يعتمد على التركيب لذلك ينبغي للباحث أن يبتعد عن التحيز و ممارسة الشك

3- **أصنام السوق:** وهي الأخطاء التي تنشأ من تبادل الأفكار بين الناس بواسطة اللغة، فلا بد من التحكم في تحديد مدلول الكلمات وإلا حصل اللبس وانتهى إلى مناقشات فارغة وهذا ما جعل الفلسفة والعلم يتصفان بالجمود والتأخر والسفسطة وهي نوعان :

أ- نوع يتألف من أسماء أشياء لا وجود لها، و من أسماء أشياء لها وجود لكنها تفتقر إلى تعريف دقيق مثل البخت والأفلاك والعناصر التي تنشأ من نظريات كاذبة لذلك يجب أن ترفض .

ب-التي تنشأ من التجريد غير الصحيح وتمتد الى أعماق العقل البشري مثل ثقيل، خفيف، نادر، كثيف ...مثل قولنا هذا الكتاب ثقيل- أي -غير عسير على الفهم، وهذا رجل ثقيل – أي- أنه ليس خفيف الروح وهذا ما يخلق الفوضى لأن اللفظة الواحدة قد تحمل معاني تصل إلى درجة التناقض، ولتفادي هذه الأخطاء والأوهام ينبغي تطهير لغو العلم والفلسفة من هذه التعابير المضللة وندقق حديثنا في البحث عن الحقيقة .

4 - **أصنام المسرح أو الأنظمة** : و هي الأخطاء الناتجة عن المعتقدات الدينية و الفلسفية من خلال قوانين البرهان الفاسدة و هي :

أ-**الأصنام السوفسطائية** : و هي تتمثل بأرسطو الذي أفسد الفلسفة الطبيعية بواسطة المنطق، ففيزياء أرسطو ليست سوى ألفاظا منطقية تتجسد أساسا في المقولات (و هذا إجحاف في حق أرسطو من طرف بيكون)

ب–**الأصنام التجريبية:** ويقصد بها الاستقراء المبني على تجارب مشوشة وغير دقيقة مثل التنبؤ بالأحوال الجوية .

الأصنام الخرافية : وهي أشد خطرا على الفلسفة وعلى التفكير السليم مثال ذلك اصطناع الصور المجردة و الأسباب الخرافية والتي تحظى بالتقديس فلا سبيل إلى بلوغ اليقين العلمي إلا من خلال الانطلاق من الملاحظة والتجربة "... لأننا نأخذ بعض القضايا والآراء الموقرة كقضايا مسلم بها ولا نزاع فيها ونأخذ هذه القضايا نقطة الابتداء في البحث ولا نفكر في وضع هذه القضايا المسلم بها موضع الفحص والملاحظة والتجربة." [1]

ورفض كل المعتقدات السائدة والأفكار المتوارثة باعتبارها أصناما يقول في كتابه: "الأورغانون الجديد" " إذا بدأنا تأملاتنا باليقين وصلنا إلى الشك وإذا بدأنا بالشك وتحملناه في صبر وصلنا إلى اليقين.

وقد وضع بيكون جداول يصنف فيها حضور الظاهرة وجداول تغيب فيها حدوث الظاهرة وجداول لتغيراتها وهي ما صاغها جون استوارت مل قواعد المنهج التجريبي الأربع وهي قاعدة التلازم في الحضور والغياب والتغير بالإضافة إلى طريقة البواقي . وبهذا فقد جمع بيكون مختلف الشواهد التي تحدث فيها الظاهرة التي يراد تفسيرها والتي تربط بين الأسباب و النتائج انطلاقا من الملاحظة والتجربة ويمكن تلخيصها فيما يلي:

أ – جدول الحضور أو الاثبات: وفيه نضع الظاهرة موضوع البحث مثلا في البحث عن سبب ظاهرة الحرارة نضع فيه كافة كافة الأمثلة التي تسبب الحرارة مثل الشمس والنار والحوامض والاحتكاك ...

ت–جدول الغياب نضع جدولا فيه الأمثلة التي تغيب فيها الظاهرة التي يراد إيجاد سببها مثلا غياب الحرارة في الثلج، الماء، القمر ....

ث–جدول التدرج : نضع فيه الأمثلة التي تتغير فيها الظاهرة بالزيادة أو بالنقصان

---

[1] ول ديورانت ،قصة الفلسفة، مكتبة المعارف بيروت ،ص 167

و بهذا فقد اعتمد بيكون على الطريقة الاستقرائية أي الانتقال من الاحكام الجزئية الى الأحكام الكلية بطريقة تجريبية وإن لم يكن أول من استعمل هذه الطريقة، غير أنه اكتشف خطأ جوهريا في استخدامها السابق، فقد اعتد الناس أن الأمثلة الموجبة كافية لتفسير الظواهر، وأضاف بيكون الحالات السالبة التي لا تحدث فيها، كما أضاف جدول للتدرج أو التغير بالزيادة أو النقصان .

- و قد اعترف ليبنتز وهيوم وكانط بعظمة الرجل ليس في منهجه ولا فلسفته بل في اكتشافه للمبادئ التي تحرر العقل من الضلال وتوجهه إلى دراسة الحقائق الطبيعية والنفسية والاجتماعية دراسة نزيهة بعيدة عن الذاتية وهذا غرضه من البداية فقد اعتقد بيكون أنه جاء لخدمة البشرية واتخذ من البحث عن الحقيقة غاية له.

فلسفة جون لوك John Locke (1622 –1704) **التجريبية:** تتميّز تجريبية لوك بكونها تجمع نشاط العقل ومعطيات التجربة، غير أن هذه الخبرة هي المصدر والمنطلق الأساسي للمعرفة والأفكار المتضمنة في الذّهن، وهذه التجربة هي التي تضبط وتوجه نشاط العقل.. فالعقل ليست وظيفته صناعة الأفكار، وإنما التركيب والدّمج فيما بينها ينتقد فكرة العقليين عن الأفكار الفطرية، فلو كانت هناك حقا أفكار فطرية، لكانت مشتركة بين الأجناس البشرية "إنّها الأفكار الفطرية ليست مطبوعة على العقل بطبيعتها فالمعرفة عند لوك تمّر بالمراحل التالية:

أ– الإحساس الناتج عن تأثير العالم الخارجي على الحواس

ب– الإدراك الحسي، وهو الوعي الدّاخلي بالإحساس . الذكرى المتصلة بصورة الفكرة المتشكلة في الذّهن، أين تصبح لدينا أفكارا

ج– صورة الفكرة، وتمثل في صورة ذكريات عن المدركات الحسية السابقة، خبرات تكّون المفهوم العام المجرد والشامل الذي ينطبق على كل الظواهر المشابهة (مثل إدراك معنى البياض مجردا عن المحسوس الأبيض)..

- لقد بين جون لوك في كتابه : " محاولة في الفهم الإنساني " أن المعرفة ترجع إلى أصول حسية مستمدة من التجربة رافضا المذهب الغريزي والقول بوجود أفكار فطرية أي وجود معاني وأفكار

جاهزة في العقل البشري " ويشرع في نفي النظرية الغريزية فيقول ما خلاصته لو كان المذهب الغريزي صحيحا لما كان هناك حاجة للبحث عن الحقيقة بالملاحظة والاختبار...كذلك ليست المبادئ العملية غريزية إن هذه المبادئ من أخلاقية و قانونية ، تختلف من شعب إلى شعب، ومن دين إلى دين ...و ليس يعني هذا أن المبادئ الأخلاقية عرفية كلا إنها طبيعية ولكنها مكتسبة"[1] غير أن هذه الخبرة هي المصدر والمنطلق الأساسي للمعرفة والأفكار المتضمنة في الذّهن، وهذه التجربة هي التي تضبط وتوجه نشاط العقل.. فالعقل ليست وظيفته صناعة الأفكار، وإنما التركيب والدّمج فيما بينها ينتقد فكرة العقليين عن الأفكار الفطرية، فلو كانت هناك حقا أفكار فطرية، لكانت مشتركة بين الأجناس البشرية .

و ينكر جون لوك وجود أفكار فطرية على أي نحو كانت موجودة بالقوة أو موجودة بالفعل ورد على العقلانيين حول مصدر الأفكار العقلية

أ- النظرية التأملية وتشمل القضايا المنطقية البينة بذاتها مثل قانون الهوية وعدم التناقض التي يعتبرها العقلانيين فطرية وحدسية لأنها محل اتفاق بين البشر، فإجماع الناس ليس دليلا كافيا على أنها فطرية، إلا إذا تبين أنه يستحيل الحصول عليها بطرق أخرى فالبلداء والأطفال لا يفقهونها أبدا، وهذا دليل على أنها ليست فطرية. ويرد لوك على وجود مبادئ فطرية التي يدركها العقل بعد النضج أن هذه الفكرة مرفوضة فإما أن توجد و تدرك من البداية وإما أن لا توجد وتكون مكتسبة .

ب-المبادئ العملية تشمل القواعد الأخلاقية والمعتقدات الدينية وهي ليست موضع إجماع بين الناس و حتى عند الفرد الواحد (الضمير) ونفس الشيء بالنسبة لوجود الله، فهناك أقوام ليس لديهم فكرة عنه زيادة على الملحدين والإيمان بوجوده يختلف من عقيدة لأخرى.

و سعى لوك إلى تمهيد أرضية خصبة للمعرفة وذلك من خلال إزالة العوائق العالقة في العقل البشري

أ- عوائق لغوية : والتي تستعمل فيها الألفاظ الغامضة والمبهمة المظللة للفكر

[1] يوسف كرم تاريخ الفلسفة الحديثة ،بيروت ، دار القلم ، ص144-145

ب–عوائق منهجية: الاعتقاد بوجود مبادئ فطرية يمكن أن تستخلص منها المعرفة كلها بالإضافة إلى اعتبار القياس المنطقي الطريقة الوحيدة الصحيحة لبلوغ الحقيقة، فعارض المدرسيين ردهم كل أنواع المعرفة إلى القياس، كما أن إفساح المجال للفكر تترتب عنه الكثير من الأخطاء فلا بد من وضع حدود له لذلك يهدف كتاب لوك " مقالة في الفهم البشري " إلى وضع حدود للمعرفة وفقا لما نملكه من إمكانيات و قوى، وبهذا فقد رفض :

1– الأفكار الفطرية كمبادئ أساسية للمعرفة

2– رفض القياس المنطقي كطريقة صحيحة و وحيدة

3– رفض البحث في مسائل تقع خارج مجال إدراكنا

فالتجربة هي أصل كل ما في العقل البشري من أفكار و بالتالي فهي مصدر كل معارفنا، وكل الأفكار التي نتحصل عليها ترجع إلى مصدرين هما الإحساس والتأمل

أ– أفكار الإحساس : تأتي إلى العقل من العالم الخارجي عن طريق الحواس كالألوان و البرودة و الحرارة...

ب–أفكار التأمل : وهي تصدر عن العقل ذاته مثل الشك والإدراك والاعتقاد فالعقل يتأمل الأفكار التي تأتيه من الخارج عن طريق الإحساس ولا ينشأ بدونها.و من حيث تركيبها و بساطتها تنقسم الى قسمين :

أ – أفكار بسيطة : تصل الى العقل عن طريق الحواس و التي لا يمكن تحليلها الى أبسط منها مثل برودة الثلج و حلاوة السكر.. باعتبارها المواد الأولية للمعرفة و هي أربع أقسام :

- التي نحصل عليها من حاسة واحدة مثل الألوان والأشكال والروائح .
- التي نحصل عليها من أكثر من حاسة مثل المكان والامتداد والشكل والحركة والسكون من خلال حاستي البصر واللمس .
- الأفكار البسيطة الناشئة عن التأمل مثل الإدراك والإرادة
- التي تأتي العقل بكل طرق الإحساس والتأمل كاللذة والألم والقوة والوجود والتعاقب وبها نفسر وجود تغير الأشياء رغم تجريدها .

ب–الأفكار المركبة: هي التي يصبغها العقل من الأفكار البسيطة من خلال المقارنة والتحليل بين مختلف المعطيات الحسية ليعاد تركيبها لتنشأ أفكارا أخرى مركبة (غير أنه يستحيل على العقل أن يكوّن أو يبتكر فكرة بسيطة واحدة) ومن الأفكار ما يرجع أفكار الأحاسيس وبعضها آلة أفكار التأمل وهنا لا يكون العقل منفعلا بل فعّالا فالعقل يكون ويصنع الأفكار المركبة من الأفكار البسيطة من خلال عمليات ثلاث وهي التركيب و المقارنة و التجريد .

- و يرى جون لوك ما يعتقد العقلانيون أنه فطري كاللانهائي و الجوهر و غيرهما ما هما في حقيقة الأمر إلا أحوال بسيطة نشأت عن أفكار بسيطة بواسطة عمليتي التوسيع أو التكبير، أي الجمع بين أفكار من نوع واحد و تكوين فكرة واحدة ففكرة اللانهائي تنشأ من خلال تكرار فكرة المكان المحدود أو الزمان المحدد بدون توقف ، فهي ليست فكرة إيجابية نحصل عليها من شيء متناهي بل هي فكرة سلبية تنشأ من التكرار المستمر فنصل الى الأزلية في الزمان .

فلسفة دافيد هيوم التجريبية David Hume(1711–1776): المعرفة حسية خالصة، والمادة هي مصدرها، كي تجعلها تدرك وليس الفكرة إلا نتاج ما نحس به. إن الانطباعات تطبع مثل الحرارة أو البرودة، العطش أو الجوع، اللذة أو الألم، ومن هذه الانطباعات تنقل صورة منها عن طريق العقل، حيث تبقى بداخله بعد زوال أو توقف الانطباع، وهذا ما ندعوه بالفكرة .

ما نعتقد أنه أفكار فطرية وقبلية، مثل مبدأ السببية، هو في الحقيقة خلاصة خبرات سابقة، ومجرد صور لعاداتنا السابقة التي انطبعت في أذهاننا " العادة هي المرشد العظيم للحياة الإنسان" ولم يثق هيوم إلا في التجربة الحسية الآنية باعتبارها مصدر كل يقين لأنها مستمدة من الواقع مباشرة .

و اطلق هيوم من فلسفة اللاأدرية التي رفض من خلالها فكرة السببية والحتمية واطراد الظواهر نظرا لعدم وجود الضامن الذي يضمن تكرار الأحداث الماضية والحاضرة بنفس الطريقة في المستقبل. كما رفض كل أشكال الميتافيزيقا لأنها لا تعبر سوى عن الأوهام التي لا تمت للواقع بصلة، لهذا يقول " إننا إذا استعرضنا المكتبات مزودين بهذه المبادئ، فيا لها من إبادة تلك التي نضطر إلى فعلها ! فلو تناولنا بأيدينا كتابا كان ما كان ، كتابا في اللاهوت أو في الميتافيزيقا المدرسية –مثلا – فلنسأل :" هل يحتوي هذا الكتاب على تدليلات مجردة خاصة بالكم و العدد ؟ " لا، "هل يحتوي على تدليلات تجريبية خاصة

بأمور الواقع والوجود الفعلي ؟ " لا ، إذن فألقي به في النار ، لأنه يستحيل أن ينطوي على شيء غير سفسطة ووهم "[1]

أسئلة حول المحاضرة

-حدد مصادر المعرفة .

- ما يميز المصدر التجريبي عن المصدر العقلاني؟
- و هل الاختلافات في المنطلقات يؤدي الى اختلاف في النتائج المتوصل إليها ؟

[1] يوسف كرم تاريخ الفلسفة الحديثة ،بيروت ، دار القلم ، ص144-145

المحاضرة الحادية عشرة

الفلسفة النقدية (المثالية)

لقد خصص كانط **Emmanuel Kant (1724-1804)** كتاب "نقد العقل الخالص" الذي يعتبر من أضخم انتاجاته الفلسفية خاصة في الإطار الابستيمي الذي يجيب عن الأسئلة المحورية الثلاث كيف يكون العلم الرياضي ممكنا؟ وكيف يكون العلم الطبيعي ممكنا؟ وكيف تكون الميتافيزيقا على العموم ممكنة ؟

ويعتبر هذا السؤال الأخير السؤال المركزي في كتابه فقد سلك العلم الرياضي والطبيعي دروب العلم الآمنة منذ القديم إلا أن إمكانية الميتافيزيقا كعلم كانت مدار جدال بين الفلاسفة الوثوقيين الذين أعطوا العقل الصلاحية للبحث والحكم على القضايا الميتافيزيقية الكبرى وهي وجود الله والعالم والحرية والنفس، مما أدى بالفلاسفة الريبيين إلى منح الشك كلمة الفصل في إطار المعرفة .

مع أن الفلاسفة التجريبيين قد أكدوا على ضرورة الانطلاق من التجربة إلا أنهم انحرفوا في مجال المعرفة عن هذه الحدود حيث أصدروا أحكاما تتجاوز حدود التجربة، وبهذا فقد وقعوا في نفس هفوات الفلاسفة الاعتقاديين فصرحوا بما لا يعلمون " ومن هنا فإن كانت قد دعا إلى رفض موقف كل من أبيقور (زعيم التجريبيين) وأفلاطون (زعيم الإعتقاديين) على أساس أن كلا منهما قد أكد أكثر مما يعلم "[1].

وهنا أراد كانط أن يضع العقل موضع المحاكمة غير أن هذه المحكمة ليست ضد العقل وإنما غرضها ضبط حدوده ومجال صلاحيته وشرعيته خاصة في مجال الميتافيزيقا فالموضوع الرئيسي الذي يدور حوله النقد الكانطي إنما هو الفصل في مشكلة إمكان قيام الميتافيزيقا أو استحالة قيامها بصفة عامة.

---

[1] زكريا إبراهيم ،**كانت أو الفلسفة النقدية** ، مصر ، دار مصر للطباعة ، ص 98.

لقد أراد كانط أن يؤسس معارف يقينية ضرورية وكلية من جهة، وواقعية تجريبية يمكن التحقق من صدقها تجريبيا من جهة ثانية، ويعتبر التركيب القبلي ثمرة إنتاجه الفلسفي في الإطار الابستيمي، حيث ميز كانط بين المعارف القبلية والبعدية فالأولى هي التي تستقل بالتمام على كل تجربة حسية مثل القضايا الرياضية والقضية " كل تغير يجب أن يكون له سبب " والدليل على وجود هذه المبادئ القبلية المحضة في معارفنا هو أن التجربة عاجزة على أن تخلع على نتائجها الكلية والضرورة وهما سمتا المعارف القبلية وغرض كانط هو الكشف عن هذه الأسس الترنسندنتالية التي تساهم بها الذات في حصول المعارف، بالإضافة إلى المعارف القبلية هناك مبادئ قبلية مثل الجوهر والمكان باعتبارهما مبدآن ضروريان "فالضرورة والكلية الصارمة هما ميزتان موثوقتان للمعرفة القبلية ترتبط إحداهما بالأخرى ارتباطا لا ينفصل"[1].

أما المعارف البعدية فهي التي تستمد من مصادر تجريبية والتي معها تبدأ معرفتنا وفي غيابها تبقى المعارف القبلية دون محتوى، فهي بهذا الموضوعات التي تتخذها الذات كموضوع للمعرفة وهذا ما يؤكده كانط في قوله " تبدأ كل معارفنا مع التجربة، ولا شك في ذلك البتة، لأن قدرتنا المعرفية لن تستيقظ إلى العمل إن لم يتم ذلك من خلال موضوعات تصدم حواسنا، فتسبب من جهة، حدوث التصورات تلقائيا، وتحرك من جهة أخرى، نشاط الفهم عندنا إلى مقارنتها، وربطها أو فصلها، وبالتالي إلى تحويل خام الانطباعات الحسية إلى معرفة بالموضوعات تسمى التجربة "[2]

كما يميز كانط بين الأحكام التحليلية والتركيبية، فالأولى لا يزيدنا محمولها معرفة بموضوعها و ذلك أنه متضمن فيه وبهذا فهي كلية وضرورية وتمثل هذه الأحكام التحليلية القبلية الشروط الأولية لكل معرفة علمية فهي لوحدها لا تمثل لنا معرفة مثل الأفكار الفطرية التي كان يعتقد بها ديكارت،فهي ليست سوى شروط أولية للمعرفة العلمية، لأن المعرفة البشرية سواء في ميدان الرياضيات أو ميدان العلم الطبيعي لا تتم إلا إذا توافرت عناصر معينة ليست مستمدة من التجربة بل تعود إلى تركيب العقل البشري ذاته، و لا يمكن إنكار هذه الأفكار دون الوقوع في التناقض .

---

[1] إيمانويل كانط ،**نقد العقل المحض** ،تر:موسى وهبة ،لبنان، مركز الانتماء القومي ، ص46

[2] إيمانويل كانط ،**نقد العقل المحض**، ص45

أما الأحكام التركيبية فهي التي يزيدنا محمولها معرفة بموضوعها والتي تستمد من التجربة "... أيا كان مصدر الأحكام أو شروط صورتها المنطقية ، ففيها من اختلاف بيّن يجعلها إما تفسيرية لا تضيف شيئا إلى مضمون المعرفة، وإما توسعية تزداد بها المعرفة المعطاة ويمكننا أن نطلق على الأحكام الأولى اسم الأحكام التحليلية وعلى الثانية اسم الأحكام التركيبية " [1]

و قد زاوج كانط بين الأحكام القبلية والبعدية أو التركيبية ليصل إلى التركيب القبلي وبهذا فقد شق كانط لنفسه طريقا وسطا بين الميتافيزيقا الدوغمائية والفلسفة التجريبية الشكية مع هيوم فكان العلم ضروري كما أراد له العقلانيون لأنه لا يكون كذلك ما لم يكن ضروريا وبالتالي قبليا، كما لا يتحقق ذلك ما لم يكن واقعيا كما أرادت له الفلسفة التجريبية و بالتالي تركيبيا .

ولما كان هدف كانط هو البحث عن الأسس القبلية أو الترنسندنتالية للمعرفة فقد ميز بين الملكات التي تعتبر بمثابة شروط قبلية للإدراك والتي نقصد بها الحساسية والمقولات التي تجعل الحدوس متعقلة بالنسبة إلينا وهي مقولات الفهم، وتتمثل مقولتي الحساسية في الزمان والمكان وهما مفهومان عقليان قبليان مسبقان على كل تجربة حسية يمكن تصورهما خاليان من كل شيء لكن لا يمكن تصور شيء في غيابهما، كما إننا نتصور المكان والزمان لا متناهيين وليس في التجربة إلا المقادير المتناهية وبهذا فلا يمكن أن يستخلص ويستمد اللامتناهي من المتناهي وذلك أنهما الشرطان القبليان لكل معارفنا .

غير أن الحساسية لوحدها غير قادرة على تعقّل الحدوس الحسية وذلك أنها القدرة على تسلم الحدوس فقط، فلا بد من توفر مقولات الفهم التي تجعل الموضوعات معقولة بالنسبة إلينا، فتدخل الفهم بمقولاته القبلية هو الذي يحيل المادة الخام من الأشتات الحسية التي تعطى لنا عن طريق الحساسية إلى موضوع للمعرفة، ويقوم الفهم بالدرجة الأولى على ملكة الحكم فما يصدره الفهم للتعرف على الأشياء يجسد حكما ومن هذه الأحكام استخلص كانط المقولات Les Catégories وهي اثنا عشر مقولة تتوزع

---

[1] ايمانويل كانط ، **مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة تريد أن تصير علما** ، تر: نازلي إسماعيل حسين ، القاهرة ،دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ،ص6

على أربعة مقولات رئيسية وهي مقولة الكم والكيف والجهة والإضافة، وتعتبر هذه المقولات فارغة ليست ذات محتوى.

فالحدوس الحسية هي التي تخرجها من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، فبغياب الحساسية التي تتسلم الحدوس تبقى مقولات الفهم فارغة دون موضوع " فبالاستعانة بالمقولات يقوم الفهم بتركيب وتوحيد إدراكات التجربة الحسية التي ندركها تحت صور الزمان والمكان ويحولها من كونها سيلا مضطربا من الإحساسات إلى عالم منظم معقول من الأجسام المترابطة "[5]

فدور هذه المقولات هو دور تنظيمي وليس دورا إنشائيا فهي لا تبني المعرفة ولا تتضمنها بل تنظمها فعلى الرغم من كثرة الحدوس وتشتتها إلا أن هذه المقولات تخلع عليها الوحدة المنبثقة من وحدة الذات وبهذا فشروط الطبيعة تستنبط من شروط الفكر، وهكذا يتجلى لنا الإنقلاب الذي أحدثه كانط في نظرية المعرفة في ثورته الكوبيرنيكية، إذ جعل الأشياء تدور حول الفكر، بدل أن يعتقد الناس جميعا أن الفكر يدور حول الأشياء.

فإذا كانت موضوعات التجربة هي موضوعات العلم الطبيعي باعتبارها فينومينات، فوراء هذه الظواهر الشيء في ذاته أو النومين الذي لا نعرف عنه شيئا سوى أنه موجود فحسب ،و بهذا فدائرة التجربة غير دائرة الوجود، ولا يمكن أن نرتقي من التجربة لنصل إلى الشيء في ذاته لأنه شيء مستغلق وذلك أن ما نعرفه عن الظواهر هو ما نمنحه نحن لها لكي تكون معقولة بالنسبة إلينا من خلال الصور والمقولات التي نفرضها على الحدوس الحسية، فنحن لا نستطيع أن نطبقها على الأشياء في ذاتها لأنها ليست حدوس بل معقولات " فالشيء في ذاته مفهوم سلبي يضطرنا إلى وضع حد أمام دائرة امتداد الذهن البشري ، وكأنه تذكير مستمر لنا بأن (دائرة التجربة) غير (دائرة الوجود) أو أننا لا نستطيع أن نبدأ من الظواهر لكي نرقى إلى الشيء في ذاته "[1]

فالأشياء في ذاتها أو النومين لا يقصد بها الأشياء في حقيقتها فقط والتي تقابلها الأشياء كما تبدوا لنا فـ " المعنى الثاني لعالم الأشياء في ذاتها والمتعلق بما وراء عالم الظواهر .إنه ذلك العالم

---

[1] زكريا إبراهيم ،**كانط أو فلسفته النقدية** ،ص78.

المؤلف من تلك الموجودات أو المعاني المتضمنة في أسئلة ميتافيزيقية من النوع الآتي : هل الله موجود ؟ و ما صفاته ؟ هل الإنسان حر؟ ما طبيعة النفس الإنسانية ؟..." [1]، كما أن عالم الأفكار لا يقابل عالم الأشياء التي نختبرها في التجربة فقط بل يتضمن موضوعات الميتافيزيقا الكبرى و هي وجود الله وخلود النفس والحرية والعالم . فتسليم كانط بالأشياء في ذاتها راجع إلى ميل الإنسان الطبيعي في البحث عن الحقيقة الذي لا تمده بها التجربة الجزئية والمتغيرة هو الذي دفعه إلى البحث في عالم الأفكار الذي يحز على الحقائق الخالدة والأشياء الثابتة في ذاتها وهنا يلتقي كانط مع أفلاطون من خلال قسمته الثنائية للعالم ،كما رأى كانط أن بعض بل الكثير من مثلنا العقلية لا تتحقق في هذا العالم لذلك فنحن نأمل أن تتحقق في عالم الأشياء في ذاتها بشكل أو بآخر.

غير أن العقل كثيرا ما يسأم من الحدود الضيقة التي يرسمها الواقع الحسي و يسعى إلى مغادرة أرض التجربة المقيدة بحدود الزمان و المكان إلى معانقة المطلق و اللامشروط، فيبحث في النفس ووجود الله والحرية والعالم وغيرها من الموضوعات الميتافيزيقية، وفي هذا يحاول أن يفهم ويتعقل هذه الموضوعات من خلال وضعها تحت مقولات الفهم دون الاكتراث للمجال الذي وجدت من أجله مما يؤدي به إلى النقائض والمغالطات والتي يسميها كانط بنقائض العقل الخالص والتي يتناولها كانط في باب "الديالكتيك الترنسندنتالي" من كتاب " نقد العقل الخالص" أين أكد أن العقل إذا تجاوز حدود التجربة فإنه سيجد نفسه وجها لوجه أمام موضوعات الميتافيزيقا الكبرى " فالعالم أو المادة هو التفسير الأخير للظواهر الطبيعية، والروح هو التفسير الأخير للظواهر النفسانية، والله خالق الروح والعالم هو التفسير الأخير لكل شيء، غير ان هذه الموضوعات سوف تسوقنا إلى الديالكتيك أين يكون البرهان على القضية معادل في قوة حجته للبرهان على نقيضها وهنا يضيع العقل بين النقائض، فإذا كان نشاط العقل بمفهومه الكانطي يسوقنا لا محال إلى البحث عن اللامشروط الذي يتجاوز قدرتنا عن المعرفة بتجاوزه للحدود التي ترسمها لنا التجربة أو عالم الفينومين فما الداعي إلى وجودها في؟ وهل يعقل أن ينطوي العقل على موضوعات جوهرية ترعرعت في أحشائه دون أن تكون لها أي قيمة ؟

[1] محمود زيدان،**كانط و فلسفته النظرية** ، مصر ،دار المعارف ،ط3 :1979 ،ص44-45

إن الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها يحيلنا مباشرة إلى الأخلاق فإذا كان للعقل النظري حدودا يقف عندها وهي الحدود التي ترسمها التجربة أين يتحدث كانط عن الميتافيزيقا المشروعة والتي يقصد بها الأسس الترنسندنتالية التي تجعل الموضوعات متعقلة بالنسبة إلينا، فإن الميتافيزيقا الدوغمائية مرفوضة عند كانط في الاستعمال النظري ،غير أنه سيتخذ من موضوعاتها الكبرى مسلمات في بنائه العملي أو الأخلاقي والتي تحررنا من الأغلال التي وضعتها التجربة وهذا ما ينقلنا من مملكة الضرورة إلى مملكة الحرية .إن الميل إلى الميتافيزيقا هو ميل طبيعي يهدف إلى تحقيق فائدة عملية فالإيمان بشيء يتجاوز حدود التجربة إنما يفتح أمام الأمل والرجاء البشري أفقا واسعا لتحقيق غاياته الأخلاقية.

<u>أسئلة حول المحاضرة</u>

- هل يعتبر النقد الكانطي نقدا راديكاليا للمذاهب السابقة ؟
- بماذا ارتبط مفهوم النقد عند كانط و ما هي غايته ؟
- كيف استطاع كانط أن يميز بين النومين والفينومان و ما الغاية من ذلك ؟

المحاضرة الثانية عشرة

المصدر البراغماتي Pragmatisme:

نشأت البراغماتية في الفترة المعاصرة في انجلترا و الولايات المتحدة الأمريكية كرد فعل على الفلسفات الميتافيزيقية الكلاسيكية العقلانية و التجريبية و النقدية التي لا تصل إلى نتائج يمكن صياغتها في شكل منتجات جاهزة و تدعو إلى الانصراف من الفكر المجرد نحو العمل استجابة لضروريات الحياة واستشرافا للمستقبل و يعتبر تشالز سندرس بيرسC. Peirce (1839- 1914) وجون ديوي (1865-1952) و ويليام جيمس W.James (1842-1910) من أهم روادها.

و من أهم مسلماتها :

-**أولا** : رفض الأبحاث المجردة والمذاهب المغلقة والحلول المعلقة في فضاء العلل الأولى والأسباب القبلية وقد اعتبرها "ويليام جيمس" مجرد خرافات لأنه سيهتم بتحقيق منافعه ويبتعد عن التأمل الفارغ الذي لا فائدة من ورائه، و قد ظهرت البراغماتية كنتيجة للثورة الصناعية وما حققته من نتائج عملية انعكست على المستوى المعيشي للإنسان لذلك سعت البراغماتية إلى إيجاد مقولات جديدة تتناسب مع التغيرات المادية الحاصلة في العالم الغربي ولم يكن السبيل إلى ذلك إلا من خلال الفلسفة البراغماتية أو فلسفة العمل، **ثانيا** تأسيس فلسفة عملية:(البرغماتية أو الذرائعية هي مذهب فلسفي ،يجعل من كل منطلق ومسلمة غايته تحقيق المنفعة سواء كانت فردية أو جماعية كذلك مهما كانت طبيعة المنطلق حسي أو عقلي أو ميتافيزيقي المتبع لبلوغ هذه الغاية .

ولفظ البراغماتية مشتق من الكلمة اليونانية "براغما" وتعني العمل والمزاولة ويعتبر "ديوي" الحياة هي توافق بين الفرد وبيئته.

ثالثا: العبرة بالنتائج: إن أول مقياس يجعلونه مرجع في والمنطلقات هو تحديد منعة علمية بحيث يعتبرون الفكرة الناجحة هي التي لا تُحقق منفعة عملية ومقابل ذلك أن الفكرة التي لا تحمل في طياتها مشروع قابل لإنتاج آثار عملية يعتبر خرافة، فالمعاني الميتافيزيقية والمعتقد الديني لا يكون مقبولا إلا إذا حقق منفعة عملية وأعطت فائدة في مجال الحياة الدنيا.

رابعا :العبرة بالنتائج الناجحة: حيث يعتبر المنهج الصحيح هو ذلك الذي يحدد الآفاق المستقبلية التي تحقق فيها التناغم العقلي بين تطلعات الأفراد وأحلامهم، أي أن حلول المشكلات يتوقف، حيث يكون بالوقوف على نتائجها الملموسة ونتائجها الحسية التي تترك أثر نافع في الحياة وما دون ذلك فهو باطل لهذا يقول "جيمس"(إن آية الحق النجاح وآية الباطل الإخفاق)فكل فكرة لا تحقق النجاح في الحياة هي فكرة باطلة

خامسا :المرونة والمراجعة المستمرة: أي أن الصدق الذي نقف عليه اليوم ليس صدق ثابت بل هو متغير مع الواقع و بهذا فالحقيقة عند البراغماتيين نسبية ومتغيرة لذلك كان شعارها" ليس لدينا أصدقاء دائمون ولا أعداء دائمون وكل ما هنالك مصالح مشتركة"

سادسا : الصدق صدق لأنه نافع: بحيث يعتبروا أن المقياس الصدق وسيلة لتحقيق أغراضنا الفكرية والعملية بحيث شبهه بالسلع ،التي تحدد قيمتها بقدر ثمنها الذي يدفع فيها فعلا في السوق ،كما اعتبروا الإنسان ليس مصدر الحكم علي الأشياء بالصدق أو الكذب بل هو ما يرشد إلى الصدق ذلك هو الصادق كما يقول "ديوي " إن ما يرشدنا إلي الحق فهو حق" يقول تشارز بيرس" إن تصّورنا لموضوع ما هو تصّورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية لا أكثر" ويقول ويليام جيمس " آية الحق النجاح وأية الباطل الإخفاق" ويقول "الحق حق لأنه ناجح" كما أكد جون ديوي أن الطبيعة هشة لا توجد فيها ضمانات لذلك فهي تخلق لنا الكثير من المشكلات و الأحداث المفاجئة لذلك يقول " ... و التفكير لا ينشأ إلا إذا وجدت مشكلة و محاولة حل هذه المشكلة هو العامل المرشد إلى التفكير دائما "

على الرغم من الاختلاف في وجهات النظر بين الفلاسفة البراغماتيين إلا أنهم يتفقون على أن المصدر الوحيد للأفكار الصادقة هو المنفعة و المصلحة، و ذلك أن صدق الأفكار يشتق بصفة عملية من النتائج التي تحققها في الواقع و قد أكد بيرس أننا لا نستطيع أن نحكم على صدق الأفكار إلا إذا قمنا بفحص النتائج العملية التي تتمخض عنها، وبدلا من تأمل الأفكار للتأكد من صدقها أو كذبها ينبغي أن نبحث في نتائجها وهنا يصبح دور الفلسفة مرتبط بما تحققه من نتائج فالإنسان عندهم لا يفكر في الخلاء بل يفكر من أجل أن يعيش، وهنا تجيب البراغماتية على الأسئلة التالية متى يفكر الإنسان؟ والإجابة في حالة وجود مشكلة أو أحداث مفاجئة و لماذا نفكر؟ والإجابة عندهم لإيجاد حل، و الحل بغية تغيير الواقع أو محاولة التكيف معه، وبهذا تكون الغاية من التفكير ليس التفكير في ذاته وإنما التفكير لإيجاد حلول عملية.

غير النتائج العملية التي نستخلص منها صدق الأفكار من باطلها لا تقدم لنا حقائق ثابتة ومطلقة بل حقائق ظرفية آنية، فالحقيقة مطلب ذاتي سيكولوجي وليس حقيقة موضوعية في ذاتها، فالعالم هو عالم الأشياء والحقيقة حقيقة في ذاتنا ولا يمكن القبض على الحقيقة كما يقبض على الأشياء لذلك أكده جون ديوي في كتابه " **البحث عن اليقين** " لذلك يعرف ويليام جيمس الحقيقة بأنها " **القيمة الفورية للفكر** " .

سابعا : يرفض البراغماتيون الميتافيزيقا جملة و تفصيلا و قبولهم لها متوقف على مدى تحقيقها للمنفعة المادية المباشرة و التي تترك أثرا ماديا في حياتنا، أو قدرتها على إحداث تغيير على مستوى السلوك أين تتحول إلى سلوك عملي إيجابي.

ثامنا : وجود الأشياء في العالم وجود أخرس لا يوصف لا بالصدق ولا بالكذب، فقيمة الشيء تستمد بصفة عملية من النتائج التي تحققها في الواقع، حيث يزيد اعتقادنا بها كلما حققت لنا منفعة أو درأت عنا ضرارا و إلا كانت فكرة وجودها فكرة خاطئة .

عاشرا : معرفتنا بعالم الأشياء لا تعني معرفة بخصائصه أو مكوناته و أنما هي معرفة باستعمالاته و وظائفه لذلك تسمى البراغماتية بالأداتية أو الذرائعية فوجود الأشياء بالنسبة إلينا هو وجود أداتي وظيفي أو استعمالاتي .

أسئلة المحاضرة

- حدد دوافع و أسباب ظهور الفلسفة البراغماتية
- ما هو معيار الصدق عند البراغماتيين وهل يعتبر ثابتا ومطلقا وضح؟
- ما موقف البراغماتيين من الميتافيزيقا و من العالم الموضوعي ؟

المحاضرة الثالثة عشرة

المصدر الوجودي :

<u>تعريف الوجودية</u> : من أهم التيارات الفلسفية المعاصرة التي تهتم بالوجود العيني للإنسان وما يرتبط به من تفكير وشعور وفعل وما يعيشه من قلق ومخاطرة وحرية فهي فلسفة تحيا الوجود وليست مجرد تفكير في الوجود و هي تهتم بالوجود العيني للإنسان بدلا من الوجود الموضوعي .

نشأة الفلسفة الوجودية:

ترجع الجذور التاريخية للوجودية الى الفيلسوف الدنماركي "سورين كيركغارد" الذي يعتبر بمثابة العراب والأب الروحي للفكر الوجودي، وتعمق فيها فيما بعد الفيلسوفان الألمانيان"مارتن هيدغر" وكارل يسبيرز" والفرنسيين أمثال "جون بول سارتر"و"سيمون دي بوفوار" و"غابرييل مارسيل"و"ألبير كامو"... وغيرهم، وتطورت في أوروبا عقب الحرب العالمية في الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي في أحضان الأدب خاصة فن المسرح والرواية، حيث كثر الموت وأصبح الفرد يشعر بوحدته في عالم فقد أي معنى لوجود الحياة الإيجابية المشبعة بالروح الإنسانية حيث فرضت على الفرد حالة " القلق الوجودي " بعد أن فقد حريته والشعور بالمسؤولية اتجاه نفسه ومجتمعه ووطنه الذي خيم عليه الدمار أمام الانبهار بالنتائج المادية للعلم على حساب القيم الروحية، لتتسع الوجودية في بقية الأقطار الأوروبية وبعدها في العالم بوجه عام ليبدأ وجودها بالانحدار مع نهاية السبعينيات .

<u>الوجودية المؤمنة و الملحدة</u> :

تتضمن الوجودية فوارق عميقة تميز بين فلاسفتها فيما يتعلق بموقفهم الفكري اتجاه الدين.فقد ارتبط فكر كل من " سورين كيركغرد " و" غابرييل مارسال " بالوجودية المؤمنة والتي تؤمن بوجود إله طبيعي موجود في كل فرد وأن ما يصدر على الفرد هو حق ،وأن الإنسان خالق لأفعاله، ولو أخفق فعليه أن يتقبل ذلك لأن الإله أراد له ذلك فعليه بالرضا والقبول، ويقصدون بالإله هنا الإله الطبيعي، وليس الديني ومن أبرز مؤسسي هذا التيار " سورين كيركغارد " وله الكثير من الآراء في الوجودية المثالية والدينية، وهي وجودية أقرب إلى التصوف في حركتها وفهمها بالنسبة لعالم الإنسان ،حيث ترى الوجودية المؤمنة وفقا لرؤية " كيركغارد" أن الكون متناقض وأن أعظم التناقضات فيه هو الاتحاد بين الله والبشر في شخص يسوع

المسيح. وتقول بالمعادلة بين الله والحب، وأنه عندما يمارس الفرد فعل الحب فانه يحقق جانب من جوانبه الإلهية في الواقع وقد عارض كيركغارد الطقوس المعتقدات التي عبر من خلالها رجال الدين عن المسيحية فقد آمن بالمسيح لكنه عارض المسيحية فالمسيح ضحى بجسده من أجل شعبه و بماذا يضحي رجال الدين ؟ أما الفكرة الرئيسية في فلسفة " غابرييل مارسال " هي أن الإيمان ليس حالة من حالات الفكر بوجه عام، وهو لا ينتسب إلى العقل بأي حال من الأحوال، وإنما هو واقعة من وقائع الذات الفردية المتجسدة ولا يمكن أن يرد إلى الأنا التجريبية ، حيث يقول أن الحياة الخاصة بالفرد هي وحدها هي التي تمثل المرآة التي ينعكس عليها الوجود اللامتناهي ،والعلاقات الشخصية وحدها التي ترشدنا الى وجود شخص أخر له وجود يتعدى نطاق نظراتنا اليومية، انه بالإمكان قيام الاتصال بين الأنا والأنت ويمكن أن يتصاعد فيصبح تواصلا مع الأنت المطلق الذي هو الله ،والوفاء الحقيقي للغير هو الذي يصعد بنا الى الله لأن الله هو الأنت الذي يبادلنا الوفاء دائما، ولا يتخلى أبدا عن الإنسان، ولا يمكن أن يغدر به. و ما الوفاء إلا نداء لله لكي يشهد على وفائنا، ولكي يكون له ضامنا وحافظا . والوفاء يكون دائما مطلقا وبلا أية تحفظات وشروط لأن الوفاء المكبل بالشروط والقيود ليس وفاء بل ارتيابا وشكا،وبالتالي فإن هذا الوفاء المطلق يرغمني بواسطة طبيعته نفسها على الصعود شيئا فشيئا حتى أصل إلى المطلق الإلهي. وهذه الصلة بيني وبين الله الذي هو أقرب من نفسي إلى نفسي، هي صلة بين شخصين وهي بالنسبة لي مبدأ الإبداع الحقيقي، لأنني بالصلاة والدعاء أشارك في منبع وجودي وفي الحب الذي جعلني موجودا في اتجاه لا يبلغ مداه التعبير.

أما الوجودية الملحدة فهي وجودية تميل الى عدم الاعتراف بالإله، و تجد أن الإنسان إله نفسه فهو لم يختر أن يوجد بل قذف به من العدم، وهو خالق لأفعاله وغير معذور لارتكابه للخطأ و السبب في هذا التوجه هو ما تعرض له هذا الانسان بسبب الحرب من ظلم وقهر ومعاناة بسبب الدمار،و شعوره بغياب واضح لوجود الرب ورحمته في تخليصه من هذه المتاهة التي دخل فيها لذلك راحت الوجودية تعول كل التعويل على الفرد و وجوده و قدراته في تحقيق خلاصه، وهذا ما أكد عليه الفيلسوف الفرنسي " جون بول سارتر " راعي المدرسة الوجودية في فرنسا في كتابه " الوجود والعدم " حيث يقول: إن الإنسان لو كان مشلولا وعلى حرية مدولبة ودخل سباقا مع كبار العدائين في العالم ثم هزم يجب أن لا يعتذر لماهيته لأنه خالق لأفعاله فإذا أخفق فانه يلام على هذا الفعل ... فحتى الخطأ أصبح مرفوضا عندهم إذن وغير مبرر مهما كان نوع هذا الخطأ ومقداره.

وقد بدأت الوجودية الملحدة عند الألماني " نيتشه"وبرزت عند" مارتن هيدغر" ووصلت ذروتها عند الفرنسي " جون بول سارتر " وزميله" ألبير كامو " وهو فرنسي أيضا، ثم آخرين في منتصف القرن العشرين حتى أصبحت هي الصورة المتداولة للوجودية وغطت على باقي الصور مما اضطر الوجودي المسيحي البارز" غابرييل مارسال " إلى استخدام مصطلح " فلسفة الوجود " للتهرب من هذا التعميم.

أهم مفاهيم الوجودية :

1- **تقسيم الوجود** :ميز الفلاسفة الوجوديون بين نوعين من الوجود الوجود لذاته والذي يقصد به الوجود الإنساني فقط و الذي يكون الوجود فيه سابق عن الماهية والوجود في ذاته أو الوجود الموضوعي والذي يتضمن كل الكائنات ما عدا الإنسان أين تكون الماهية سابقة عن الوجود فماهية الكائن الفرد هي ما يحققه فعلا عن طريق وجوده، ولهذا يوجد أولا ثم تتحدد ماهيته ابتداء من وجوده الحياة الفعلية للأفراد هي ما يكون ما يطلق عليه " جوهرهم الحقيقي " فان البشر من خلال وعيهم يخلقون قيمتهم الخاصة ويحددون معنى لحياتهم و على الرغم من أن سارتر هو من صاغ هذه العبارة إلا أنه يوجد بعض الإشارات في أفكار فلاسفة وجوديين آخرين مثل "مارتن هايدغر "و" سورين كيركغرد " يفسر البعض اللازم لتعريف الفرد بأنه يمكن لأي شخص أن يتمنى أن يكون أي شيء إلا أن الفيلسوف الوجودي سيجيب بأن هذه الأمنية تكون وجودا لا يتم بالأصالة، من ذلك يجب أخذ العبارة على أن الناس يتم تعريفهم بناء على أفعالهم .

2- **الحرية** : ترى الوجودية أن الإنسان حر مختار فهو لم يختر أن يوجد و لما وجد كان عليه أن يختار ماهيته بمحض إرادته يقول سارتر " الإنسان محكوم عليه بالحرية " فهو يملك مطلق الحرية في الاختيار بين الممكنات غير أنه لا يستطيع أن يختارها كلها بل يختار اختارا وحيدا يمثل ماهيته وهنا يظهر النقص عند الإنسان لأنه لا يملك اختيار الممكنات كلها " لم يكن للإنسان في بداية حياته صفات محددة فذلك لأنه بدأ من الصفر و لم يكن شيئا إلا بعد ذلك و لن يكون إلا ما قدره لنفسه "[1].

[1] جان بول سارتر ، الوجودية مذهب إنساني ، تر : عبد المنعم الحفني ، القاهرة ، الدار المصرية ، 1964 ، ص 14

3- **القلق** : عبرت الفلسفة الوجودية عن قلق الإنسان المعاصر الذي ينتج عن ماهيته كإنسان لذلك فهو قلق وجودي مصاحب للوجود البشري لذلك يقول هيدغر: " كل دازاين هو دازاين قلق " ومن أسباب القلق :

- قلق لأنه مقذوف به دون شفقة أو رحمة أو ضمان في وجود يتميز بالهشاشة ، فهو لم يختر أن يوجد و لاما وجد كان عليه أن يختار ماهيته بمحض إرادته .
- إن الإنسان حر مختار وبالتالي فهو يختار ماهيته بإرادته ولا يعلم إن كان سينجح أم سيخفق فيها و بهذا فهو يجازف و يخاطر بماهيته يقول كيركغارد و الاختيار يجر إلى الخطيئة والخطيئة تجر إلى القلق و اليأس " و بهذا فالقلق عند الوجودين قلق وجودي يدخل في كنه الطبيعة البشرية مما يستدعي القلق الدائم .
- كما أنه قلق من ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه فهو لا يختار لنفسه فحسب بل يختار للبشرية جمعاء و كل إخفاق يلحق اختياره ينعكس على غيره " وعندما نقول أن الإنسان مسؤول فنحن لا نعني أنه مسؤول فقط عن شخصه ولكنه مسؤول كذلك عن كل الناس " [1] فالانسان في هذا الوجود يتحمل نتائج اختياراته الفردية التي لا تتوقف نتائجها عليه فقط بل على الجميع.
- كما أنه قلق لوجوده مع الغير الذي ينافسه في ماهيته و يهدد وجوده يقول سارتر :" الجحيم هو الآخر "وما يزيد من هذا القلق أننا لا نستطيع أن نتخلى عنه أو نعيش من دونه يقول سارتر " وجود غيري شرط ضروري لوجودي و لوجود وعيي بذاتي " فوعينا بذواتنا يرتبط ارتباطا لا ينفصل بوجود غيرنا فالطبيب ليس طبيبا في غياب المرضى و....

4- **العبثية** : تشير إلى أنه لا يوجد معنى في العالم خلاف المعنى الذي نسبغه عليه وتتضمن معنى "انعدام الأخلاقية " و" انعدام العدالة " في العالم، أن تعيش حياة العبثية يعني أن ترفض الحياة وتبحث عن معنى محدد لوجود البشر .طبقا ل " ألبير كامو" فإن العالم أو البشر ليسوا عبثيون في ذاتهم، إنما ينشأ مفهوم العبثية فقط عن اجتماع الاثنين إذ تصبح الحياة عبثية بسبب عدم التوافق بين البشر و بين العالم الذي يسكنون فيه ، وكما قال " سورين كيركغرد " إن العبثية مقصورة على أفعال واختيارات البشر والتي تعتبر عبثية لأنها تنبعث من حرية البشر وتضعف أساسهم خارج

[1] جان بول سارتر ، الوجودية مذهب إنساني ، ص16

ذواتهم وهذا ما يمثله ألبير كامو بصخرة سيزيف الذي يدفع الصخرة الى قمة الجبل و بمجرد بلوغ ب القمة تهوي به إلى سفح الجبل ويعيد الكرة في كل مرة وهو لا يتوقف عن المحاولة اليائسة فما نظن أننا بلغنا شيئا حتى نجد أنفسنا أننا انطلقنا من لا شيء .

4-**الأصالة** : يلاحظ الكثيرون اعتبار الكتاب الوجوديين لمفهوم الأصالة مهما، يتضمن وجود الأصيل فكرة أنه على الفرد أن يشكل نفسه ثم يعيش بعد ذلك في اتساق مع ذاته. تعني الأصالة أنه عند التصرف، على المرء أن يتصرف كذاته وليس"كتصرفاته "أو " كنوعه " أو كما يتطلب أي جوهر آخر. يتضمن دور الواقعية بالنسبة إلى الأصالة جعل قيم الفرد الحقيقية فعالة عند اختياره بدلا من الاختيار بعشوائية كما قال كيركغارد " مما يجعل الفرد يتحمل المسؤولية لفعله. على النقيض من ذلك، فإن عدم الأصالة هو إنكار العيش طبقا لحرية الشخص.

5-**الفزع والهلع:** الفزع الوجودي وأحيانا يطلق عليه الهلع أو الأسى الوجودي وهو مصطلح شائع بين الفلاسفة الوجوديين يوصف عادة بأنه شعور سلبي ينشأ من تجربة الحرية الإنسانية والمسؤولية. المثال النموذجي هو تجربة وقوف الإنسان على جرف إذ لا يشعر الإنسان فقط بالخوف من السقوط ولكنه أيضا يفزع من إمكانية إلقاء نفسه، يشعر الإنسان بانعدام وجود أي شيء يحدد له مسبقا ما إذا كان يلقي بنفسه أو أن يقف ثابتا شاعرا بحريته الخاصة،والفزع بالنسبة إلى الوجودي المعاصر " آدم فونغ " هو الشعور المفاجئ بانعدام المعنى.

6-الخوف : ترى الوجودية أن الإنسان مشروع و ليس موضوع و هذا المشروع لا ينتهي إلا بانتهاء الوجود يقول سارتر " سأكون عندما لا أكون " والموت يطارد الإنسان ويلاحقه في كل لحظة، وقد يوقف مشروعه الذي يمثل ماهيته ليلقي به في أحضان العدم، غير أن الخوف عند الملاحدة أكثر منه عند المؤمنين الذين يؤمنون بوجود الخلاص بعد الموت .

و بالتالي فمصدر المعرفة عند الفلاسفة الوجوديين يرتبط بالشعور الناتج عن التجربة الحسية التي يخوضها الانسان مع الوقائع الخارجية و ما تنتهي إليه من قلق و خوف و مجازفة ومخاطرة .و باختلاف تجاربنا يختلف مفهوم الحقيقة بالنسبة إلينا .

أسئلة حول المحاضرة :

-هل عبرت الفلسفة الوجودية على جوهر الوجود الانساني كما يدعي أنصارها ؟

-هل يمكن أن تنتج المعرفة عن الشعور المستمد من المحن و القلق و الخوف و المخاطرة ؟

- ما يميز الفلسفة الوجودية عن الفلسفة التجريبية إذا كان منطلق كلا منهما هو الواقع ؟

- هل استطاعت الفلسفة الوجودية أن تصنع لنفسها نظرية خاصة في المعرفة أم أنها مجرد امتداد للتجريبية؟

المحاضرة الرابعة عشر

طبيعة المعرفة :

طبيعة المعرفة: يمكن التمييز بين نوعين من المعرفة من حيث مطابقة للفكر للواقع أو مطابقة أو مطابقة الواقع للفكر وهذان النوعان هما:

المعرفة الواقعية Réalisme :هي المعرفة التي تربط صدق الأفكار بمدى بمطابقتها للواقع الخارجي فللأشياء الخارجية وجودا مستقلا عن الذات، وأفكارنا عن العالم ليست سوى صورا لهذه الأشياء الموجودة فيه، والمعرفة بهذا انعكاس للموضوع في الذات.

أنواع الواقعية :

الواقعية الساذجة : و يقصد بها الموقف التلقائي للإنسان الذي يعتقد أن الأشياء التي يدركها موجودة على حسب إدراكه لها، وتقوم الواقعية الساذجة على اعتبار العالم الواقعي موجود بذاته وهو مستقل عنا، كما أنه لا يمكن إدراك هذا العالم إلا عن طريق الحواس مما يضمن له وضوحه، و من ينظر إلى الواقع بنظرة مغايرة يبدو كأنه جاهل أو متحيز .

الواقعية النقدية :هي مصطلح فلسفي نظري يرى أن المعطيات الحسية التي نتلمسها بحواسنا تمثل حقيقة الأشياء التي نحس بها بينما البعض الآخر لا يمثل بدقة أي شيء من الحقيقة فهو عبارة عن زيف وخداع مثل السراب ... وتقوم هذه الفلسفة موقفا وسطا بين المعرفة العقلية والحسية فهي لا تنكر أيا منهما.

المعرفة المثالية Idéalisme : يطلق اسم المثالية بوجه عام على النزعة الفلسفة التي تقوم على رد كل وجود إلى الفكر بأوسع معانيه وبهذا المعنى فهي مقابلة للواقعية الوجودية التي تقرر أن هناك وجودا مستقلا عن الفكر ومن أشكال المثالية :

المثالية اللامادية Immatérialisme : و هي الفلسفة التي أسسها جورج بيركلي و هي مثالية تنكر وجود المادة، وتثبت وجود الأفكار حيث يرى جورج باركلي أن وجود الأشياء متوقف على إدراكنا

لها يقول في ذلك " لا وجود إلا للأفكار ،أما المادة فلا وجود لها إلا من جهة ما هي مدركة لنا، فلا وجود إلا للإدراك، وإذا كان فكرنا يتضمن معاني ترتبط بالعالم المادي فذلك راجع إلى إرادة الله التي تخلق هذه الأفكار في أنفسنا " إن اللغة البصرية ، التي أسسها الله، تفيدنا و تضللنا، فهي تفيدنا إذا اكتفينا باعتبارها علامة على كيفيات لمسية، وهي تضللنا إذا حملنا العلامات على محمل الموجودات الواقعية، متناسين الذهن الذي يحركها"[1].

المثالية المتعالية (الترنسندنتالية) Idéalisme Trancsendantal : أو النقدية التي أكد كانط فيها على أن مثاليته المتعالية هي في الواقع نوع من "الواقعية" لأنها تفترض أن الأشياء توجد بصرف النظر عن إدراكنا لها، ولذلك ربما يبدو معنيّا بمواقف متناقضة أو متعارضة وهذا الانطباع تعززه حقيقة أن غاية المثالية المتعالية هي إعطاء أساس "للموضوعية" بلغة "ذاتية" فالحتميات الموضوعية لقوانين الطبيعة تعتمد على "شروط إمكان" ذاتية للمعرفة هذه الشروط هي ما يعنيه الجانب المتعالي من نظرية المعرفة الخاصة به، فالشروط ذاتية لأنها نتاج تفكيرنا، لكنها يجب أن تنطوي على الحتمية لا أن تكون اعتباطية على غرار الآراء الذاتية، ومن ثم يريد كانط أن يشرح كيف تعتمد المعرفة على أثر العالم علينا وعلى الطرق التي ينظم بها العقل ذلك الأثر. فقد بحث كانط عن الأسس القبلية التي تجعل العالم متعقلا بالنسبة إلينا وهي مبادئ تنظيمية .

المثالية الذاتية :Idéalisme subjectif : وهي مثالية فيخته وهي فلسفة الأنا، فهي تجعل من المثال العقلي مبدأ للوجود و ذاتية لأنها تضع هذا المثال في الذات الأخلاقية المطلقة، أي أنها ترد حقيقة العالم الخارجي إلى التمثلات الفردية وإلى طبع الفرد و ميوله و مزاجه " إذن فلسفة كل إنسان تعتمد على طبعه وميوله إلى حد كبير فلو أننا سلمنا قطعا بوجود الأشياء في عالم الأعيان مستقلة عن ذواتنا العارفة لكان معنى ذلك أننا أنكرنا وجود ذلك الطبع " [2].

---

[1] بربيه إميل، تاريخ الفلسفة القرن الثامن عشر ، تر: جورج طرابيشي ، الجزء 5 ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص46

[2] أمين عثمان، رواد المثالية في الفلسفة الغربية ،الإسكندرية، دار المعارف، 1967، ص 289

المثالية الموضوعية Idéalisme objectif : و هي المثالية التي جاء بها شلنج و ترد كل الظواهر المتعلقة بالوعي إلى نظام سابق على وجود الإنسان .

المثالية المطلقةIdéalisme absolu : و هي مثالية هيجل و تقوم على التماثل بين الفكر والواقع ، فتطور الواقع ليس إلا تعبيرا عن تطور الروح عبر التاريخ أو تطور العقل وهذا ينفي وجود التعارض بين بنية الفكر و بنية الواقع " كل ما هو عقلي واقعي و كل ما هو واقعي عقلي "

أسئلة حول المحاضرة:

ما يميز الواقعية النقدية عن الواقعية الساذجة ؟

يعتبر كانط شيخا للمثالية الألمانية حدد المقصود المثالية المتعالية التي جاء بها في ميدان المعرفة و الأخلاق .

المحاضرة الخامسة عشر

مبحث الوجود:

يعتبر مبحث الوجود من أهم مباحث الفلسفة الميتافيزيقية والأصيلة التي اشتغل بها العقل الفلسفي منذ القدم وقد اختلف الفلاسفة الانطلوجيون في تفسير الوجود بين من يؤكد على وحدة الوجود ومن يرجعه إلى الثنائية وبين من يرجع مبدأه إلى التعدد ويمكن تلخيص هذه المنطلقات فيما يلي :

وحدة الوجود Monisme : ويعتبر بارمينيدس أول من بحث بحثا فلسفيا معمقا في الوجود في القرن الخامس قبل الميلاد، مؤكدا على وحدة الوجود وثباته ردا على قانون الصيرورة والتغير التي قال بها هيراقليدس معتقدا أن كل شيء في تغير مستمر ولا شيء ثابت، و حتى الأضداد يتحول بعضها إلى بعض و هذا ما عارضه بارمينيدس الذي اعتقد أنه ليس هناك إلا الوجود، حتى و إن تغير فلن يصبح إلا وجودا، فالوجود موجود والعدم ليس شيئا ومن خصائص الوجود " أنه واحد، وأنه هو نفسه، و أنه ضروري أي (لا يمكن أن يكون بخلاف ما هو كائن) وأنه دائم سرمدي، وأنه متصل، و متجانس. والوجود و الفكر شيء واحد ."[1] أما في العصر الحديث يعتبر اسبينوزا الذي يعتقد أن كل ما يوجد هو الله ولما كان الجوهر أو الله واحدا أزليا لامتناهيا فالوجود أيضا واحدا لا تعدد فيه والتمييز بين الله والطبيعة هو تمييز بين الطبيعة الطابعة والمطبوعة، فالطبيعة الطابعة في نظر اسبينوزا هي النظام الكلي للأشياء من حيث أنه ذو وجود ضروري وهو الله باعتباره سببا حرا، أما الطبيعة المطبوعة فهي الأجزاء الموجودة في العالم كالأجسام المادية أو هي الله باعتباره نتيجة، فليست الطبيعة الطابعة و المطبوعة متمايزتين إلا من الناحية المنطقية لكنهما يمثلان حقيقة واحدة .

كما انطلق الكثير من الفلاسفة من وحدة الوجود أمثال انكسمندرس الذي قال باللانهائي أو الأبيرون واعتبره أصلا للوجود الذي يحكمه، كما أكدت الرواقية أن العالم جسم و أن الله هو النفس الحالة به، أما في العصر الوسيط فقد أكد يوحنا اسكوت ارجين الذي يرى أن الله هو مجموع الموجودات وهو ماهيتها أما في عصر النهضة فقد أكد جوردانو برونو أن الله في كل مكان و هو الكل في الكل لكن لا ينبغي أن نتصور هذا الكل مقسم إلى أجزاء هي مخلوقاته وإنما هو الكل في كل جزء. كما أكد محي

---

[1] بدوي عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة، الجزء :2 ، المؤسسة العربية للدراسة و النشر ،ط1: 1984 ،ص 626

الدين بن عربي(560هـ-638هـ) على وحدة الوجود وإنكاره لعالم الظاهر ولا يعترف بالوجود الحقيقي إلا لله، فالخلق هم ظل للوجود الحق فلا موجود إلا الله فهو الوجود الحق. ويقول مبيناً وحدة الوجود وأن الله يحوي في ذاته كل المخلوقات

يا خالق الأشياء في نفسه *** أنت لما تخلق جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه *** فيك فأنت الضيق الواسع

و يقول أيضا:

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا *** وليس خلقاً بذاك الوجه فاذكروا
جمِّع وفرّق فإن العين واحدة *** وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذرْ

ثنائية الوجود Dualisme:

وفي مقابل وحدة الوجود نجد الثنوية وهي التي تقول أن أصل الوجود جوهران متباينان أو مبدآن و هذا ما نجده في الفلسفة الاغريقية مع قبل سقراطية مع أنكساغوراس Anaxagore (500- 428 ق.م) الذي يرى أن أصل الوجود هو العقل وميز بينه وبين المادة فالعقل هو مبدأ النظام والمعقولية والحركة أما المادة فهي تتميز بالفوضى واللانظام وما نعيشه اليوم من نظام راجع لسيطرة العقل على المادة وتنظيمها، كما ميز أفلاطون من خلال قسمته الثنائية للعالم بين نوعين من الوجود الأول وهو عالم المثل أو الأفكار وعالم الماهيات الخالدة والثابتة والتي تمثل الحقيقة والعالم المحسوس الذي يعتبره مجرد ظلال وأشباح وحقائق مشوهة لما هو موجود في عالم المثل. أما في الفلسفة المسيحية فقد ظهرت المانوية التي تفسر الوجود بإرجاعه إلى مبدأين و هما الظلمة والنور* و هما في صراع دائم بين الخير والشر .

تعدد الوجود Pluralisme:

في مقابل المذاهب الأحادية و الثانئية في الوجود أكد بعض الفلاسفة على تعدد المبادئ الأصول " ومذهب الكثرة pluralisme هو القول أن موجودات العالم ليست مجرد أعراض أو ظواهر

*في القرن الثالث ظهرت المانوية التي تجمع بين الدين الفارسي القديم و الغنوصية والمسيحية ، انطلاقا من تقسيم العالم إلى مبدأين هما النور و الظلمة و ترجع هذه التسمية إلى مؤسسها ماني بن فاتك (210-282م)

لحقيقة واحدة مطلقة و إنما هي جواهر شخصية كثيرة مستقلة بعضها عن بعض، و لكل منها صفات تخصه بخلاف مذهب الواحدية Monisme الذي يقرر أن جميع أشياء هذا العالم ترجع إلى حقيقة واحدة ، ولا يجوز التعدد" [1] هذا ما جسده مذهب الكثرة والتعدد الذي نجده عند **أبيقور Epicurus (341-270ق.م)** الذي يرى أن الكون مؤلف من جسم وفراغ ومكان نستدل على وجود الأجسام بالحواس، وعلى وجود الفراغ والمكان بضرورتهما، وإلا فلن يكون هناك مكان تتحرك فيه الأجسام فأجسام هذا العالم، الموجودة بأعداد غير متناهية، وفي امتداد الفراغ غير المحدود، موجودة منذ البدء -أي- إن العالم كان دائماً، كما هو اليوم، وهو هكذا منذ الأزل، وقد انطلق ابيقور من التفسير الذري الذي قام عليه تفسير ديموقريطس الذي يؤكد أن الاختلاف بين الموجودات إنما هو اختلاف للطريقة التي تتآلف بها الذرات فيما بينها. كما أكد أمبادوقليدس على أن أصل الوجود يرجع إلى العناصر الأربعة و هي الماء والهواء والنار والتراب والاختلاف في الموجودات إنما يرجع إلى كيفية ارتباط هذه العناصر بناء على الحب والنفور ولم يتوقف في تفسيره للوجود على عنصر أو مبدأ معين وإنما في ارتباط العناصر الأربعة مع بعضها البعض.

أسئلة حول المحاضرة :

هل اتفق فلاسفة الوجود على مبدأ ثابت له ؟ وضح بأمثلة .

كيف جمع اسبينوزا بين الله و الطبيعة؟

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء 2، 225

المحاضرة السادسة عشرة

فلسفة القيم Axiologie:

يتضمن مبحث القيم أو الآكسيولوجيا موضوع الأخلاق والمنطق والجمال باعتبارها مباحث معيارية تبحث فيما يجب أن يكون فالأخلاق تبحث فيما يجب أن يكون عليه سلوك الإنسان و مثالها الخير الأسى والمنطق يبحث فيما يجب أن يكون عليه الفكر ومثالها هو الحقيقة المطلقة و الجمال يبحث الحسن والقبح و المعيار الذي يجعل الشيء جميل يعرف جميل صليبا الآكسيولوجيا في معجمه الفلسفي " هي البحث في طبيعة القيم، و أصنافها ومعاييرها، وهي باب من أبواب الفلسفة العامة، ترتبط بالمنطق وعلم الأخلاق و فلسفة الجمال والإلهيات، ولها معنيان: الأول هو النظر في إحدى القيم كقيمة العقل مثلا، والثاني هو النظر الانتقادي في معنى القيمة على الإطلاق " [1] وتعتبر مشكلة ذاتية القيم وموضوعيتها من أهم الإشكاليات التي تطرقت إليها الآكسيولوجيا .فهل يمكن الحديث عن وجود قيم موضوعية ؟

القيم موضوعية :

أفلاطون نموذجا للقيم الموضوعية : يرى أفلاطون أن القيم لا ترتبط بالإنسان ولا ترجع إلى تقديره الذاتي الذي يختلف من فرد لآخر وإنما هي قيم موضوعية ترتبط بالموضوع غير أنه ليس الموضوع المادي كما يتبدى للحواس فهذه الموضوعات لا تمثل عالم الحقيقة فهي ليست أكثر من ظلال وأشباح وصور لحقائق مفارقة تجد مستقرها في عالم المثل الذي يوجد فيه كل ما هو موجود في هذا العالم، وقد أكد أن الموجودات الحسية ترتبط بالموجودات الحقيقية من خلال المشاركة باعتبارها مثال لما هو موجود في عالم المثل ف" "الزهرات" التي نراها في عالم الحس تشارك بدرجات متفاوتة تكون فروقها الخاصة في فكرة الزهرة الموجودة في عالم المثل والتي هي واحدة لا تتغير، وكذلك " الأشكال الهندسية " التي تميزها في الأشياء والتي نسميها بالمربع والدائرة ... وكذا الحقائق التي تعطي الحياة الإنسانية قيمتها

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء 2،ص215

مثل العدل، الجمال، ولا سيما الخير هذه الحقائق كلها لا وجود لها في عالم الحس غلا بمشاركتها في الأفكار الموجودة في عالم المثل "[1] فعالم المثل أو عالم الأفكار هو الذي تتحدد من خلاله قيم الأشياء فنحن لا نصدر أحكاما على العدل أو الجمال أو الأخلاق أو الخير انطلاقا من معايير ثابتة و المطلقة التي لا يشوبها التغير والحواس لا تقدم لنا إلا الجزئيات و المتغيرات ويعطي مثال عن المربع فلن نحكم على أي مجموعة من الخطوط على أنها مربعا ولا يمكن أن نحكم عليه إن كان كاملا أو ناقصا إلا من خلال فكرة المربع الكامل التي نقارن من خلالها بقية المربعات .إذن فالقيم عند أفلاطون قيم موضوعية ترتبط بعالم المثل أو عالم الأفكار.

السفسطائية نموذجا للقيم الذاتية : ترى السفسطائية أن القيم نسبية ومتغيرة ومصدرها الإنسان الفرد ، أيا كانت قيما جمالية أم أخلاقية أم معرفية فالإنسان مقياس كل شيء مقياس الموجود من حيث هو موجود و المعدوم على حد تعبير بروتاغوراس من حيث هو معدوم ، لذلك رفض السفسطائيون أن تكون القيم من مصدر مفارق للإنسان حتى و إن كان إله الآلهة " زوس " فالقيم ليست مستقلة عن الإنسان فهو الذي يمنحها قيمها وهذا يعني أن الشيء لا يحمل قيمة في ذاته فقيمته تابعة للتقدير الذاتي للإنسان " فلا يمكن أن يطالب الأخلاقيين بمعيار مطلق للخير و الشر، والكذب، و كذلك المنطقيون لا يمكن لهم أن يطالبوا بمعيار مطلق للصواب والخطأ، وكذلك لا يمكن أيضا، أن يطالب الجماليين بزعمهم أن لدهم معيارا للجمال والقبح، وكذلك الحقوقيين الذين يقيمون العدالة لا يستطيعون بزعمهم أن هناك أساسا مطلقا للعدالة ، فالعدالة كالأخلاق نسبية "[2]

فالقيم بهذا تعبر عن استقلال للحكم الذاتي للإنسان باعتباره مركز الكون الذي يمنح العالم قيمته، والإنسان هنا هو الكائن الفرد وليس بمفهومه العام، و ذلك إن القول بأن مصدر القيم هو الإنسان يعني أن القيم واحدة عند جميع الشر وهذا يعني أنها ثابتة و هذا ما يتعارض مع منطق السفسطائية التي

1

عبد الله موسى، مقدمات في فلسفة القيم، الجزائر، دار القدس العربية، ط2: 2009، ص 45

[2] عبد الله موسى، مقدمات في فلسفة القيم، ص43

ترى أن القيم من صنع الفرد و قد يوافقه فيها غيره كما قد تكون مختلفة أو متناقضة وفقا لمنطق اللذة والنجاح في الحياة.

أسئلة حول المحاضرة الأخيرة

- عرف الآكسيولوجيا و حدد مباحثها و موضوعاتها .
- ما الفرق المقصود بالقيم الذاتية و الموضوعية ؟
- هل يمكن أن تتحول القيم الذاتية إلى قيم موضوعية ؟

الخاتمة

الخاتمة:

لقد تم التطرق في هذه الوحدة لأهم العناصر التي تعتبر بمثابة أساسيات للطالب في السنة الأولى علوم اجتماعية لتمكنه من التعرف على أهم مباحث الفلسفة ، و التي قد تفيده كبداية في حالة ما إذا اختار تخصص الفلسفة في السنوات اللاحقة .

و قد تضمنت مطبوعة المحاضرات تعريف الفلسفة و تطوراتها عبر مختلف حلقات التفكير الفلسفي مع التطرق لأاهم خصائص هذا اتفكير و مصادره سواء كانت داخلية مثل الدهشة و القلق و الشك والتوصل أو خارجية مثل التعريج على تأثير حلقات التفكير الفلسفي على بعضها البعض و التي اتخذت أحيانا شكل التجاوز والقطيعية وأحيانا كثيرة شكل الاستمرارية و التأثر، ليتم التطرق فيما بعد إلى قيمة الفلسفة بين الأنصار والخصوم و تم عرضها وفقا لتطورها الزمني، ثم تم التطرق إلى علاقة الفلسفة بالدين سواء الوضعي أو السماوي وعلاقتها ببقية العلوم مثل الفيزياء والبيولوجيا والطب والقانون والاقتصاد و السياسة وغيرها

لنتطرق فيما بعد إلى أهم مصادر المعرفة و نقصد هنا المصدر العقلاني والتجريبي والنقدي والبراغماتي و لوجودي ليتم التطرق الى الدوغمائية و الشكية في الفلسفة مع ذكر أنواع الدوغمائيات وأخذ نماذج عن الفلسفات الشكية . والتطرق للمعرفة الواقعية و المثالية بأنواعها .

و بعد مبحث الابستمولوجيا تم التطرق إلى مبحث الوجود بما يتضمنه من اتجاهات وحدة الوجود و ثنائية الوجود و تعدد الوجود وصولا إلى مبحث القيم أو الآكسيولوجيا و التي عرجنا فيها على دلالة الموضوعية و الذاتية في القيم .

و تعتبر هذه المطبوعة بمثابة منطلقا للطالب المبتدئ في إطار البحث العلمي و التي تضمنت الخطوط العريضة التي بإمكانه الاعتماد عليها بغرض توسيع معارفه باعتبارها نقطة بداية .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

أ- قائمة المصادر و المراجع باللغة العربية

- ابراهيم مدكور ،المعجم الفلسفي،مصر ،الهيئة المصرية لشؤون المطابع الأميرية، 1982.
- إبراهيم مصطفى إبراهيم ،الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، الإسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر، ناهد البقصمي، الهندسة الوراثية و الأخلاق
- أبو نصر الفرابي، الجمع بين رأيي الحكيمين، تحقيق د ألبير نصري نادر، بيروت 1960
- ابن رشد ، فصل المقال، تقديم وتعليق: أبو عمران الشيخ ، جلول بدوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1982
- أحمد عبد الحليم عطية، *الفلسفة التحليلية ماهيتها، مصادرها، و مفكروها*. بيروت لبنان: المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية.
- أحمد موساوي، *مكانة المنطق في الفلسفة التحليلية المعاصرة*، الجزائر: معهد المناهج.2007
- [1] أمين عثمان، رواد المثالية في الفلسفة الغربية ،الإسكندرية، دار المعارف، 1967
- إيمانويل كانط ،**نقد العقل المحض** ،تر:موسى وهبة ،لبنان، مركز الانتماء القومي
- ايمانويل كانط ، **مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة تريد أن تصير علما** ، تر: نازلي إسماعيل حسين ، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر
- بدوي عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة، الجزء :2 ، المؤسسة العربية للدراسة و النشر ،ط1: 1984
- بيتر كونزمان، أطلس الفلسفة، ترجمة، جورج كتورة، المكتبة الشرقية، لبنان، الطبعة الأولى، 2001
- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي
- بريه إميل، تاريخ الفلسفة القرن الثامن عشر، تر: جورج طرابيشي، الجزء 5، بيروت ، دار الطليعة للطباعة و النشر

- جون كوهلر ،الفكر الشرقي القديم، تر: كامل يوسف حسين، مرا: إمام عبد الفتاح إمام، الكويت، دار المعرفة، 1995
- حسن مصدق .*يورغن هابرماس مدرسة فرانكفورت* .بيروت لبنان :المركز الثقافي العربي،2005
- كريم متى، الفلسفة الحديثة ، عرض نقدي ، بنغازي، منشورات جامعة بنغازي ،1974.
- كارل ماكس ، فريدريك انجلز ، مختارات فلسفية، تر: ياسين الحافظ، بيروت، دار الطليعة للطباعة و النشر ، ط1: 1974
- محمد عبد الرحمان مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ج:1، بيروت ،عويدات للنشر و التوزيع، 2000
- محمود زيدان، مناهج لبحث الفلسفي،الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1977
- محمد عبد الرحمان مرحبا ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، ص160
- محمد غلاب، المعرفة عند مفكري المسلمين، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، 1966
- رشيد دحدوح، ابستمولوجيا العلوم الطبية و البيولوجية عند جورج كانغيلام ، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1: 2013
- عطيات أبو السعود، حصاد فلسفة القرن العشرين، مصر ،منشأة المعارف
- عادل عوض ، الاصول الفلسفية لأخلاقيات الطب ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية،2011
- على محي الدين القره واعي ، على يوسف المحمدي ، فقه القضايا الطبية المعاصرة، "دراسة فقهية طبية مقارنة " شركة دار البشائر الإسلامية، ط2 بيروت
- صبري الدمرداش، الاستنساخ قنبلة العصر، مكتبة العبيكان ،ط2 2001 الرياض
- رنيه ديكارت، مبادئ الفلسفة، عن عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار المعارف
- ول ديورانت ،قصة الفلسفة، مكتبة المعارف بيروت
- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، بيروت، دار القلم .

- زكريا إبراهيم ،**كانت أو الفلسفة النقدية**، مص، دار مصر للطباعة ، ص 98.
- محمود زيدان،**كانط و فلسفته النظرية**، مصر ،دار المعارف ،ط3 :1979
- جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، تر: عبد المنعم الحفني، القاهرة، الدار المصرية، 1964
- عبد الله موسى، مقدمات في فلسفة القيم، الجزائر، دار القدس العربية، ط2: 2009

ب قائمة المصادر و المراجع باللغة الأجنبية

- Andre Laland .(1970) .*vocabulaire technique et critique de la philosophie* paris: p.u.f

–René Descartes, Discoures de la méthode, ENAG éditions, présenté par Omar Mehibel

–Schopenhauer,le monde comme volonté et comme représentation ,tome2